جامعة الأزهر

مفهوم السحر وحكمه

بين المتكلمين والفقهاء

د/هدى عبد الحميد زكى محمد
الأستاذ المساعد بفرع الجامعة
(السادات)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [1]

([1])البقرة: 102.

مقدمة

الحمد لله، خلقت فسويت، وقدرت وقضيت، وعافيت وأبليت، وأمت وأحييت، وعلى العرش استويت. والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

وبعد:

في الواقع أن للسحر حقيقة، وواقع معروف، منذ البدايات الأولى للإنسان على الأرض.

فالجدير بالذكر أن القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمة، ذكر أن السحر من أسس شبهات المنكرين، والمعاندين للرسالات السماوية؛ ولذلك لم يستطع الذين أرخوا له وضع حدود زمنية على وجه التحديد، فقد رأوا أنه بعيد الغور في تاريخ البشرية، يرجع إلى ما قبل التاريخ، لقوله تعالى: **(كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)**[1]

ولذلك منذ وجود الإنسان، والرسالات السماوية، وتاريخ السحر الأسود، الذي هو في حقيقته حرب الشيطان وجنوده على بني أدم ؛ ليضل الإنس والجن معًا، فيوقعهما بسببه في أعظم ظلم، جريمة الكفر والشرك بالله تعالى، وذلك بخدع سحرية خفية، عجيبة، في كثير من الأحيان، يختلط فيها الحقيقة بالخرافة أو الحق بالباطل، والظلمة والنور. ولهذا كما سيأتي إن السحر كعمل: لا يدل إلاَّ على الكذب والضلال والفسق والخروج عن طريق الفطرة في خلق الله تعالى، كما يبين عناد واستكبار المنكرين، والكافرين بوجود الله تعالى وبرسالاته، فهم على الرغم من اتباعهم طريق الشيطان في شركه لله تعالى، إلاَّ أنهم يعلمون علم اليقين أنه الكذب والضلال، بدليل ما رموا به الرسل من السحر والكهانة، والجنون.

ومن ثم إن السحر، وما شابهه من كهانة وكذب وضلال، ليس إلاَّ من قبيل الصنائع، التى ترجع إلى التعليم، والتلقين كما دلَّت الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[2]

([1]) سورة الذاريات: آية 52.

([1]) سورة البقرة : آية 102.

وعلى ذلك إنه من قبيل التعليم، والتلقين من الشياطين، فكلما ازداد المتعلم له كفرًا وظلمًا ازداد عمـــلاً وأثرًا، قويًا في ظلمات الناس.

ومن ثم هو في حقيقته إتقان للكفر، والتعليم، فمن الجائز أن يكون خارق لعادة الكثير من النـــاس،ولكن ليس بمعجز فالمعجزة(كما سيتبين) فعل خارق للعادة لا يظهرها الله تعالى، إلاَّ على يد الرسل والأنبياء.

فليس إذن من وجوه للمقارنة بين السحر، الذى هو فعل الكفرة والشياطين وبين المعجزة، التى هى من الله تعالى على يد رسله وأنبياءه لهداية الناس كافة.

كذلك فإن المعجزة، وشروطها لا تنطبق على وصف الساحر من كفر وفسق وفجور. حتـــى الإهانـــة والاستدراج، وإن كانتا من خوارق العادات، إلاَّ أنهما لا يأتيا موافقا لدعوى الأنبياء والرســـل، ولا مـــن طريقهما في هداية الناس.

فالإهانة تظهر على يد كاذب، وفاسق مفسد للأرض، يدعى النبوة، ويقول" أوحى إليه ولم يـــوحَ إليـــه شئ" فيجرى الله تعالى على يديه، ما يدل على كذبه وافترائه، فيعلم الناس بعين اليقين أنه كاذب، فاســـق، كما حدث من "مسيلمة الكذاب".

وكذلك الاستدراج، وإن كان أيضا من خوارق العادات، فهو في وصفه لا يدل إلاَّ على الكذب والافتراء والضلال؛ فيجريه الله سبحانه على يد الكافر المدعى للألوهية.

ولكي يتبين موقف الإسلام من السحر، والشرائع الأخرى، والفرق بين المعجزة والسحر: قسمت بحثي هذا البحث كالتالي:-

- المقدمة: السابق ذكرها

الفصل الأول: تعريف السحر والفرق بينه وبين المعجزة.

المبحث الأول: تعريف السحر في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: تعريف المعجزة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثالث: مجمل خوارق العادات.... والفرق بينها وبين المعجزة.

الفصل الثاني: موجز عن السحر في الشرائع الأخرى.

المبحث الأول: صورة موجزة من طرق السحرة في العالم القديم.

المبحث الثاني: صورة موجزة عن سحر أهل بابل.

المبحث الثالث: السحر عند المصريين.... ومواجهة موسى عليه السلام.

المبحث الرابع: حقيقة السحر عند اليهود والنصارى.

المبحث الخامس: المسلمون الأوائل... ومواجهة السحرة.

المبحث السادس: وقفات عن السحر في العصر الحديث بين الشرق والغرب.

الفصل الثالث: حقيقة السحر في الكتاب والسنة... والوقاية الشرعية منه.

المبحث الأول: أنواع وصور تعلم السحر.

المبحث الثاني: حقيقة سحر رسول ﷺ وعلاجه والوقاية منه.

المبحث الثالث: الحكم الشرعي للسحر والسحرة، وعلاجه والوقاية منه

المبحث الرابع: الرقية....وعلاقتها بالسحر.

الخاتمة

* * * * * *

الفصل الأول
تعريف السحر.... والفرق بينه وبين المعجزة

تمهيد:

إن من الجدير بالذكر، قبل البدء في شرح حقيقة السحر في الشريعة الإسلامية، وتوضيح الفرق بينه وبين المعجزة، لابد من تفصيل المفهوم اللغوي، والاصطلاحي لهما عند العلماء؛ لتتضح حقيقتهما في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وكذلك لدى العلماء والفقهاء، يوضح ذلك التالي:

المبحث الأول
تعريف السحر في اللغة والاصطلاح

يختلط على كثير من الناس الكرامة والمعونة، بأفعال السحرة والفسقة، وخاصة الذين يدعون الولاية على بعض من عامة الناس، ولذلك فان توضيح السحر في اللغة، والاصطلاح في بداية البحث، يمهد وييسر معرفتهما.

أولا: المفهوم اللغوي للسحر:

تعددت المعاني لكلمة السحر، فقد اختلفت في اللغة، حسب ضبط الكلمة، والأصل الثلاثي لها(السين- والحاء- والراء)، فيطلق على الرجل، فيقال ساحر من قوم سحرة.

والسحرِ: الأُخذُ، وكل ما لطف مأخذه، ودق: فهو سحّر(وفعله، كمنع)، وقد(سَحَرُه) بالفتح (سِحِرًا)بالكسر والجمع(أسحارٌ) و(سُحورٌ) و(سحَرة) يسحُره سحَرًا، وسحره أي خدعه[1]

وتأتى أيضًا بمعنى:(صرف الشيء عن وجهه)؛ ولذلك تقول العرب: في الشئ الشديد الخفاء(أخف من السحر)، لقوله تعالى: (**سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**)[2] أي تصرفون[3] كذلك: والسَّحَرُ: آخر الليل، قبيل الفجر. قال تعالى: (**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ**)[4]

كما تأتى هذه الكلمة (السحر) بمعنى طرف الحلقوم، والرئة، فقيل انتفخ(سَحَرْ)[5]

([1]) لسان العرب: ابن منظور: ط: صادر (بيروت)(الاولى) ج4: ص348(بتصرف).

([2]) سورة المؤمنون:آية 89.

([3]) النهاية في غريب الحديث والأثر:ط دار المعارف:ج2: ص346(بتصرف).

([4]) القمر:آية 34.

([5]) المفردات في غريب القرآن: الأصفهانى: ط دار المعرفة (بيروت) ص225(بتصرف).

ومن معاني السحر: البيان في الكلام، فيقال(جاء فلان بالسحر في كلامه)، وفي الحديث(إن من البيان لسحرًا)[1] أي يمدح الإنسان، فيصدق لدرجة سحر قلوب السامعين إليه، كذلك يذمه، فيصدق، حتى يصرف قلوبهم عنه.[2] وإن كان على غير حق؛ ولذلك قيل:" إن من البيان ما يكسب من الإثم ما يكتسبه الساحر بسحره، ويكون في معرض الذم" ويجوز أن يكون في معرض المدح؛ لأنه تستحال به القلوب، ويرجى به الساخط، ويستزل به الصعب. وإن كنت أرى أن ذلك من قبيل التشبيه، والمبالغة، لا من قبيل الحقيقة؛حيث إن للسحر حقيقة أخرى.

ومن بين مفهوم السحر اللغوي كلمة(عِضِية) لقوله تعالى: (الَّذينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضينَ)[3]

ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة إن العّضة: السحر بلسان قريش، تقول للساحرة: أنها العاضهة،"وعضوه":"سحر"، وقالوا: "كهانة"، أو" كاهن"، وقال بعضهم:" مجنون"[4] و" المستعضهة" "الساحرة" وسمى" السحر" " عضها"؛ لأنه كذب وتخييل لا حقيقة له[5] .

كذلك من بين ما ذكر في معاني السحر كلمة(المطبوب)، كما جاء في السنة النبوية الشريفة، أن المطبوب، المسحور.

روى عن رسول ﷺ كما سيأتي تفصيله:(.....فقال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب قال: من طبه؟)[6].

والطب السحر، وهو من الأضداد.[7]. وقد وردت بمعنى الجنون، قال تعالى: (وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)[8] وتأتى بمعنى العلم، والساحر: بمعنى العالم الحاذق، ومنه قوله : (وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ)[9] فقيل: أن السحر كان علمًا مرغوبا فيه، فقالوا له: يا أيها الساحر على جهة التعظيم له.[10]

([1])جزء من حديث في : صحيح البخارى: كتاب النكاح: باب الخطبة: 1976/5.

([2])تابع القاموس المحيط: الفيروزآبادى: ج2: ص45.

([3])الحجر:آية 91.

([4])تابع تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ط الكليات الازهرية (549/4).

([5])تابع: في غريب الحديث والأثر: ج3: ص255- الأعلام ج1: ص32.

([6])جزء من حديث صحيح البخارى(2175/5)- كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر حديث رقم(5432).

([7])مشارق الأنوار القاضى ابى الفضل عياض المالكى: ط المكتبة العتيقة: ج1: ص317(بتصرف).

([8])الزخرف: آية 49.

([9])الزخرف: آية 49.

([10])تابع لسان العرب:(349/4).

ثانيا: المفهوم الاصطلاحي للسحر:

لقد تعددت، واختلفت تعريفات السحر بين العلماء؛ ذلك لأنه كما سيأتي تفصيل ذلك:

أولا: اسم لكل أمر خفي، وتخيل، وخداع؛ ومن ثم كان الحديث فيه على حسب تصور الفقهاء،والمفسرين له، وفهمهم بقدر مدلوله لهم، على حسب تعدد معانيه. ولذلك لا يوجد تعريف قائم على التصور الشامل له في مدلولاته الدقيقة، والخفية.

ثانيا: اختلاف وتعدد مفهومه اللغوى؛ ولذلك قيل: أن السحر في الاصطلاح: لا يمكن حده، بحد جامع لكثرة الأنواع المختلفة، الداخلة تحته، وليس هناك قدر مشترك بينها، بحيث يكون جامعًا من جهة، ومانعا من أخرى، وعلى ذلك- كما سيأتى-اختلفت، وتعددت عبارات العلماء في تعريفه، اختلافا متبايناً. وعلى قدر المتاح لى سأذكر بعضًا من هذه التعريفات:-

الأول: في اصطلاح بعض المفسرين:

1- ذكر الإمام الطبرى[1] **(رحمه الله تعالى)**: إن السحر : أصله التمويه بالحيل والتخاييل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى، فيخيل، للمسحور أنها بخلاف ما هى به، كالذى يرى السراب من بعيد، فيخيل إليه أنه ماء، يقولون:(كالسراب غَّر من رآه وأخلف من رجاه). وقيل: هو مشتق من سحرت الصبى، إذا خدعته.وقيل: أصله الصرف، يقال: ما سحرك عن كذا، أى ما صرفك عنه. وقيل: أصله الإستماتة، وكل من استمالك فقد سحرك.[2]

2- وذكر الإمام الألوسى[3]**(رحمه الله تعالى)** في تفسيره، أن السحر المراد هو أمر غريب يشبه الخارق(وليس بخارق) إذ يجزى فيه التعلم،ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح، قولاً كالرقى، التى فيها ألفاظ الشرك،ومدح الشيطان وتسخيره، وعملاً كعبادة الكواكب والتزام الجناية، وسائر الفسوق، واعتقادًا كاستحسان ما يوجب التقرب إليه، ومحبته إياه، وذلك لا يستتب إلاَّ بمن يناسبه في الشرارة، وخبث النفس.

([1])الطبرى هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الامام أبو جعفر الطبرى ولد(224هـ)، من مؤلفاته: "جامع البيان في تفسير القرآن" " اختلاف الفقهاء" "الذيل التابع لإتحاف المطالع"، وفاته(310هـ)، كان من آئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله تعالى(تابع البداية والنهاية 146/11،الاعلام 69/6)

([2])تابع جامع البيان عن تأويل آى القرآن: الإمام الطبرى: ط دار الفكر العربى(بيروت)ج1- ص451، 459 (بتصرف)

([3])الألوسى هو محمد بن عبد الله الحسينى الألوسى شهاب الدين، أبو الثناء مفسر ومحدث، وأديب من المجددين، من أهل بغداد، ولد في سنة 1217هـ، كان سلفي الاعتقاد، مجتهدًا، تقلد الإفتاء بها سنة 1248هـ، وعزل فانقطع للعلم، توفي سنة 1270هـ.-تابع: الأعلام:ج7 ص76.

فإن التناسب شرط التضامن والتعاون، فكما أن الملائكة لا تعاون إلاَّ أخيار الناس المشبهين بهم في المواظبة، على العبادة، والتقرب إلى الله تعالى بالقول، والفعل، كذلك الشياطين لا تعاون إلاَّ الأشرار المشبهين بهم في الخباثة، والنجاسة قولا وفعلاً واعتقاداً[1]

الثانى: تعريف السحر فى مفهوم بعض من علماء الفقه والعقيدة:

1- السحر هو عقد، ورقى ، وكلام يتكلم به، أو يكتبه أو يعمل شيئاً يؤثر في بدن المسحور، أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.[2]

2- السحر هو حيل صناعية، يتوصل إليها بالتعلم، والاكتساب، غير أن لخفائها، ودقتها لا يتوصل إليها إلاَّ آحاد الناس، فيندر وقوعها، وتستغرب آثارها لندروها، ومادته الوقوف على خصائص الأشياء، والعلم بوجوب تركيبها، وأزمان ذلك، وأكثره: خيلات لا حقيقة لها، وإبهامات لا ثبوت لها. فتعظم عند من لا يعرفهاوتشتبه عند من لا يقف عليها. ولذلك قال تعالى: **(قالَ بَل أَلقوا فَإِذا حِبالُهُم وَعِصِيُّهُم يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنَّها تَسعى)**[3]، مع أنه كان في عين الناظر إليه عظيمًا، قال تعالى: **(فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)**[4] فإن الحبال والعصى لم تخرج عن حقيقتها وذلك بخلاف عصا موسى(عليه السلام)، فإنها انقلبت ثعبانا مبينا، خرقا للعادة وإظهارًا للمعجزة[5].

3- السحر مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها.[6]

4- هو نوع يستفاد من العلم، بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الجواهر هيكلًا على صورة الشخص المسحور[7]، ويرصد به وقتًا مخصوصًا من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستعانة بالشياطين، وتحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله تعالى، أحوال غريبة فى الشخص المسحور.

والكثير من التعريفات التى تشمل فقط جانباً، من الأعمال السحرية، وسوف يتضح إن شاء الله تعالى كل هذه التعريفات وغيرها. وإن الجامع لحقيقة السحر أنه من العلوم المذمومة، والضارة، والأساس فيه

([1])روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم، والسبع المثانى: الإمام الألوسى: ط دار إحياء التراث العربى(بيروت): ج1ص733.

([2])المغنى فى فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدس أبو محمد: ط دار الفكر بيروت:1405هـ(الأولى):ج9:ص34.(بتصرف)

([3])طه:آية 66.

([4])الأعراف: آية 116.

([5])تابع المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ج5:ص568(بتصرف).

([6])الطب النبوى: محمد بن أبى بن أيوب الدمشقى: ط دار الفكر بيروت- تحقيق عبد الغنى عبد الخالق:ج1:ص100(بتصرف).

([7])إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالى: ط دار التراث العربى: ج1: ص50(بتصرف).

العمل على نهج الشيطان الرجيم، والاستحضار للشياطين، وذلك بأفعال خفية، ودقيقة: تتبنّى على عقد ورقى،وطلسمات، واستغاثات شركية، ورقى فيها بكفر، قال تعالى: **(وَيَومَ يَحشُرُهُم جَميعًا يا مَعشَرَ الجِنِّ قَدِ استَكثَرتُم مِنَ الإِنسِ وَقالَ أَولِياؤُهُم مِنَ الإِنسِ رَبَّنَا استَمتَعَ بَعضُنا بِبَعضٍ وَبَلَغنا أَجَلَنَا الَّذي أَجَّلتَ لَنا قالَ النّارُ مَثواكُم خالِدينَ فيها إِلّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكيمٌ عَليمٌ)**[1]

والاستمتاع المقصود في الآية الكريمة، أن كل واحد مستمتع بصاحبه، فاستمتاع الجن من الإنس: أنهم تلذذوا بطاعة الإنس لهم، كما تلذذ الإنس بهم، حتى فعلوا الحرام، والكبائر من الذنوب، بإغواء الجن والشياطين إياهم. **ولذلك قيل:** كان الرجل إذا مرَّ بسواد في سفره، وخاف على نفسه، قال: " أعوذ برب هذا الوادى من جميع ما أحذر. وهذا من الإشراك العظيم بالله تعالى؛ ومن ثم فاستمتاعهم باتخاذهم أولياء من دون الله تعالى، بأن الجن يقدرون أن يدافعوا عنهم ما يحذرون.[2]. **ولذلك قيل أيضًا:** من وجوه الاستمتاع ما كانوا يلقون لهم من الأراجيف والشرك، والسحر، والكهانة، وما يزينون لهم الضلالة.

وكذلك استمتاع الإنس بهم بما يتوهمون أنه نافع لهم، ويسهل سبيله من مطالبهم الشركية[3]، وإخبارهم كما يتوهمون بعض من المغيبات، ومن المنافع الدنيوية. وعلى كل فإن من أشد استمتاع الشياطين هو صرف الناس عن طاعة الله تعالى، والاشراك بالله تعالى.

ومن الجدير بالذكر بعد ما تقدم: أن السحر علوم مذمومة تتأسس على الشرك والكفر، والضرر والشر. في حقيقتها ليست من خوارق العادات، لأن ذلك مصدرها وأساسها؛ ولأنها تكتسب بالتدريب، والتعلم من بعض الناس، بالاتصال بأرواح الشياطين. يستطيعون، بإذن الله تعالى الضرر بأفعال خفية، ذات تأثير على بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، بمباشر العمل على عقد، ورقى وكلام يتكلم به الساحر.

* * * * *

([1]) الأنعام: آية 128.

([2]) تابع تفصيل ذلك فى الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبى: ج7: ص83(بتصرف).

([3]) تابع معالم التنزيل: الحسين بن مسعود بن البغوى: ط(طيبة) 1417هـ-الرابعة: ج3: ص 1088.

المبحث الثاني
تعريف المعجزة لغة واصطلاحا

تمهيد:

لقد أيد الله تعالى رسله وأنبيائه(عليهم السلام) بآيات بينات؛ لتدل الناس على صدقهم، وعلامة كبرى من علامات اصطفاء الله تعالى لهم، وحجج ساطعة على صدق الصادق، وكذب الكاذب وهى خصوصية لهم،يعجز البشر كلهم عن الإتيان بمثلها، أو ببعض منها.

ومن ثم فلمَّا عجزوا عن معارضتهم بالإتيان بمثلها، لزمتهم الحجة في وجوب صدقهم، ووجوب طاعتهم. فالمعجزة من لدن حكيم خبير قدير عليم، قال تعالى في معجزة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) **(قُلنا يا نارُ كوني بَردًا وَسَلامًا عَلى إبراهيمَ)**[1] وكانت معجزة موسى(عليه السلام) في مواجهة السحر الذى اشتهر في عصره بالحقيقة فى مقابل تخييل السحرة، قال تعالى: **(فَألقى عَصاهُ فَإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ)**[2] وكان عليه السلام له معجزات كبرى كثيرة، كذلك أيضًا من معجزات الأنبياء والرسل، معجزة سيدنا عيسى(عليه السلام)، بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه،والأبرص بإذن الله تعالى، قال الله تعالى: **(وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)** [3] والمعجزة الكبرى معجزة رسول الله محمد(ﷺ) الباقية إلى يوم القيامة، لمن على الأرض جميعًا: القرآن الكريم قال الله تعالى: **(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)**[4] وقال تعالى: **(قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا)**[5] والكثير من المعجزات التى كانت للحبيب المصطفي، ومن الجدير بالذكر أن معجزات الأنبياء، ليست مجرد نازلة عليهم لمجرد أنهم أنبياء ورسل، لكن كانت لحكم وبراهين عظيمة، من جنس ما نبغ به قومهم، وما اشتهرت به عصورهم، إلاَّ سيدنا

([1]) الأنبياء :آية 69.

([2]) الاعراف: آية 107.

([3]) آل عمران: آية 49.

([4]) البقرة:آية 23،24.

([5]) الإسراء: آية 88.

محمد(ﷺ)، فلأنه خاتم الرسل والأنبياء فمعجزته قائمة من جنس كل زمن، من لدن سيدنا محمد(ﷺ) إلى أن يرفع الله تعالى القرآن الكريم من الأرض، قال تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [1]

أولا : المعجزة في اللغة :

مشتقة من العجز المقابل للقدرة، وحقيقته إثبات العجز في الغير، وقد أسند مجازًا إلى ما هو سبب العجز، وجعل اسمًا له، والمعجزة واحدة هى معجزات الأنبياء(عليهم السلام)، وإعجاز الأمور أواخرها وعجز الشيء آخره يذكر ويؤنث.[2]

والمُعْجِزُ في اللغة: مأخوذ من العَجْزِ، وفي الحقيقة لا يطلق على غيَر الله تعالى، لكونه خالق العَجْز.

ومن ثم قيل أن تسمية غيره معجِّزا : كفلق البحر، وإحياء الميت، وإبراء الأكمه، والأبرص، فإنما هو بطريق التجوز، والتوسُع حيث إنه ظهر تعذر المعارضة، والمقابلة من المبعوث إليه، عند ظهوره، وإن لم يكن هو الموجب لذلك؛ تسمية للشيء بما يدانيه، وما هو منه بسبب، وذلك كما في تسمية مخلوقات الله تعالى دلالة عليه؛ لظهور المعرفة بالله (تعالى) عند ظهورها، وإن لم تكن في الحقيقة دالة، إذ الدال في الحقيقة هو ناصب الدليل، وهو الله (تعالى)، والمخلوقات إنما هى أدلة.

ومن ثم فإن الخارق الذى يتعذر الإتيان به، قد يكون غير مقدور للبشر، كخلق الأجسام،والألوان،وإحياء الموتى، ونحو ذلك. وعلى ذلك قيل: المعجزة عبارة عن كل ما قصد به إظهار صدق المُدَّعى للرسالة عن الله تعالى[3]. **ومن الجدير بالذكر**: أن الإعجاز، إثبات العجز، استعير لإظهاره.ثم أسند مجازًا إلى ما هو سبب العجز، وجعل أسماً له.

ثانيا : المعجزة في الاصطلاح:

هى أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى وعدم المعارضة، وقيل: أمر قصد به إظهار صدق من ادعى النبوة، والرسالة. وزاد بعضهم: قيد موافقة الدعوى. وبعضهم: مقارنة زمن التكليف، إذ عند انقراضه تظهر الخوارق، لا لقصد التصديق. وإنما قال: بأمر ليتناول الفعل، كانفجار الماء من بين الأصابع وعدمه، كعدم إحراق النار. ومن اقتصر على الفعل، جعل المعجز هاهنا كون النار **(قُلنا يا نارُ كوني بَردًا**

([1]) فصلت:آية 53.

([2]) لسان العرب: ج5:ص 370(بتصرف).تابع إيكارالأفكار فى أصول الدين: الآمدى: تحقيق ا.د/أحمد محمد مهدى: ج4: ص17(بتصرف):ط:دار الكتب والوثائق(القاهرة)

([3]) الأنبياء :آية 69.

وَسَلامًا عَلى إبراهيمَ)[1]،وبقاء الجسم على ما كان عليه من غير إحتراق. واحترز بقيد المقارنة، للتحدى عن كرامات الأولياء، والعلامات الإرهاصية، التى تتقدم بعثة الأنبياء. وعن أن يتخذ الكاذب معجزة من الأنبياء حجة لنفسه، وبقيد عدم المعارضة عن السحر، والشعبذة، كما ذكر الإمام الرازى.[2]

ثالثا: شرائط المعجزة:

الأول: أن تكون من فعل الله (تعالى)، وخلقه، أو قائمة مقام فعله.

ويقصد من فعل الله تعالى: أى أنها تدل على صدقه، من جهة نزولها منزلة التصديق، بالقول من الله (تعالى)، أى لابد أن يكون خارقًا للعادة؛ لأنه منزل من الله (تعالى)، وما لا يكون خارقًا للعادة، بل هو معتاد الوقوع، فلا يكون ذلك دالاً على الصدق، ولكان النبي مساويًا لمن ليس بنبي في ذلك، كما سيأتى في الشرط الثانى.

الثانى: أن تكون خارقة للعادة، وأن يتعذر على المبعوث إليه.المعارضة

إذ لا إعجاز بدونه، وشرط قوم في المعجز أن لا يكون مقدورًا للنبى، إذ لو كان مقدورًا له، لم يكن نازًلا منزلة التصديق من الله تعالى، وليس بشئ، وعمومًا أن قدرة النبي مع عدم قدرة غيره عادة معجزة(كما قيل) أن تكون ظاهرة مع دعوى النبوة، وعلى وفق دعواه.

فلو قال : أن معجزتى أن أحيى ميتًا، ففعل خارقًا آخر، لم يدل على صدقه، لعدم تنّزله منزلة تصديق الله إياه.

الثالث: أن تكون مقارنة لدعواه غير مكذبة له، ولا متقدمة عليها وفي تأخرها بزمان يعتد به خلاف (كما قيل) ويعنى ذلك:

أن كل خارق ظهر على يد النبى، قبل بعثته، فهو من باب الكرامات والأنبياء قبل البعثة، لا يخرجون عن درجة الأولياء، وظهور الكرامات على أيدى الأولياء جائز، عند أهل السنة والجماعة، والجمهور من العلماء، والمحدثين. أما لو تأخرت بزمان يعتد به، كيوم، أو شهر، أو سنة وما زاد، ثم ظهرت المعجزة الخارقة، على وفق ما ادعاه، فلا خلاف أيضًا عندهم، في ثبوت النبوة، عند ظهور المعجزة، لكن لا تثبت لما قبله لمجرد الدعوى. [3]

([1]) الانبياء :آية 69.

([2]) شرح المقاصد: سعد الدين التفتازانى: ج3: ص273–274 (بتصرف): ط دار الكتب العلمية(بيروت–لبنان). وتابع: المطالب العالية من العلم الإلهى: الإمام فخر الدين الرازى– ج8: ص21–42 ط الكليات الأزهرية.(بتصرف).

([3]) تابع أبكار الأفكار: ج4: ص18–32(بتصرف)، وتابع كشاف اصطلاحات الفنون: ج2: ص1575:1577(بتصرف).

هكذا يتبين أن المعجزة: تقتضى الصدق في دعوى النبوة، وما يتعلق بهـــا مـــن التبليـــغ، وشـــرعية الأحكام.فما يتوهم صدوره من الأنبياء من القبائح، يستحيل مع عصمتهم، بكونهم أنبياء، سواء كان من قبل بعثتهم، أم بعدها، وسواء كان ذلك من الكبائر، أو الصغائر المنفرة، أو غير منفرة، كل ذلك إما عمـــدًا أو سهوًا، على اختلاف العلماء. ولذلك فإن جمهور العلماء ترى بوجوب عصمتهم، عن كل ما ينافي مقتضى المعجزة؛ وذلك لنيلهم النبوة؛ لقوله تعالى: **(وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّـــاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** [1]

حق المعجز عند المعتزلة:

قال القاضي عبد الجبار:«وأعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعا من الله تعالى حقيقة أو تقديرا، وأن يكون مما تنتقض به العادة، المختصة بمن أظهر المعجز فيه، وأن يتعذر على العباد فعل مثله في جنســـه أو صفته، وأن يكون مختصا بمن يدعي النبوة، على طريقة التصديق له، فما اختص بهذه الصفات وصفناه بأنه معجز من جهة الاصطلاح»[2]

* * * * * *

([1]) البقرة: آية 124.

([2]) المغني في أبواب التوحيد والعدل: إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار ابن أحمد الهمذاني الأسد أبادي المتوفى سنة 415هـ صـ الخامس عشر(النبوات والمعجزات) تحقيق د/ محمود الخضيري ود/ محمود محمد قاسم، مراجعة د/إبراهيم مدكوروإشراف د/طه حسين: ط الدار المصرية: صـ (199).

المبحث الثالث

مجمل خوارق العادات والفرق بينها وبين المعجزة

تمهيد:

من الجدير بالذكر توضيح خوارق العادات، حيث إن الكرامة، من جنس المعجزة؛ ولكن ليست بقدرها إذ أن الكرامة: اسم يوضح التكرم والإكرام.

ولا تظهر إلاَّ من أولياء الله تعالى، والعارفين به سبحانه وتعالى؛ ولذلك قيل: أنها على رغم أنها من خوارق للعادات، إلاَّ أنها بلا دعوى النبوة، ولا قصد ولا إرادة من العارفين بالله تعالى قبلها، كقصة السيدة مريم، وأصحاب الكهف، وما تواتر جنسه من الصحابة، والتابعين.

ومن ثم فان الكرامة لا تقارن دعوى النبوة، لكن تزيد جلالة قدر الأنبياء لدى الناس، ببركة الإقتداء بهم. ولذلك لا تعطى إلاَّ لمن واظب على الطاعات، المجتنب للمعاصى، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[1]. ولقد وضح الإمام ابن تيمية الكثير من التفرقة بينهما حيث رأى أن النبي: وجب قبول كل ما يقول؛ لكونه نبيًا دلَّت المعجزة على صدق نبوته، كذلك فإن النبي معصوم من الخطأ، وينشر الخير والصلاح والسلام بين الناس. **أما الكرامة:** لا تكون إلاَّ من الصالحين، الذين هم على نهج النبوة، والذين يدعون إلى طريق الأنبياء، ولا يخرجون عن نهجهم. فلا تبلغ الكرامات، مهما كانت، مثل معجزة من معجزات الأنبياء. كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة، والثواب إلى درجاتهم، كما أن الكرامة لا تدل على عصمة العارف بالله تعالى، كالمعجزة تدل على الأنبياء وعصمتهم.[2]

قال الله تعالى: **(مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ)**[3] وقال سبحانه وتعالى عن الأولياء: **(أَلا إِنَّ أَولِياءَ اللَّهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ)**[4]

وقد تظهر الخوارق من قبل عوام المسلمين، تخليصًا لهم من المحن والمكاره، وعندئذ تسمى(معونة).كذلك من المهم أيضًا الحديث عنه:"الإستدراج" و" الإهانة"؛ لتأكيد تكذيب المدعى بالنبوة، والألوهية. وعلى ذلك أجمع العلماء أن الخوارق للعادات خمسة أنواع، هم:

([1])شرح المقاصد : التفازانتى: ط:دار الكتب العلمية(بيروت–لبنان): ج3:ص326،327(بتصرف).

([2])تابع النبوات: ابن تيمية: ط (المطبعة السلفية) سنة1386هـ ج3: ص6(بتصرف).

([3])التكوير:آية 21–25.

([4])يونس: آية 62.

أولا : الإرهاص والمعجزة:

1- الإرهاص، من الرهص،أى الأساس والتمهيد للمعجزة، وهو أمر خارق للعـــادة، يظهـــره الله تعالى على الأنبياء والرسل قبيل بعثتهم، تمهيدًا، وتأسيسًا لهذه البعثة، مثل تظليل الغمام له(ﷺ) قبل البعثة.

2- المعجزة: هى أمر خارق للعادة (كما سبق) مقرون بالتحدى، يظهره الله تعالى على يد الأنبياء والمرسلين، وهو مقرون بالتحدى والقصد، للإحتراز به عن الإرهاص والكرامة.

ثانيا : الكرامة

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد ظاهر الصلاح، غير مدعى النبوة ومن غير قصد إليها، وهذا ما يفرقها عن المعجزة(كما سبق).

ثالثًا : المعونة :

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد عبد من العوام، أو على بعـــض النـــاس ليخرجـــه أو ليخرجهم الله تعالى، من شدة أو مكروه

رابعًا : الإهانة :

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد كاذب، ادعى النبوة، على خلاف ما قصده، كما حدث مع مسيلمة الكذاب، عندما تفل في عين أعور، ليبرأ عينه، فعميت الأخرى.

خامسا : الاستدراج:

هى أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد فاسق، مدعى الألوهية فيستدرجه الله تعالى، إلى مـــا يوضح كفره.

وهكذا قد تبين مما سبق :

أن المعجزة ليست من متعلقات قدرة العباد، التى خلقها الله تعالى لعوام الناس؛ ومن ثم عرفت بأنها من فعل الله تعالى لخواص عباده، الذين هم الأنبياء والرسل(عليهم السلام) تشمل القول، كالقرآن الكريم،الذى تحدى به ﷺ، فعجزوا عن الإتيان بأقصر سورة فيه، وتشمل الفعل: كنبع الماء من أصابع الرســـول ﷺ وتشمل الترك، كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم(عليه السلام) لتدل على الرسالات السماوية؛ ومن ثم فليست فـــي قدرة البشر وإرادتهم، ولا مما يتلقى بالتعليم.

قال الله تعالى: (وَأَقسَموا بِاللَّـهِ جَهدَ أَيمانِهِم لَئِن جاءَتهُم آيَةٌ لَيُؤمِنُنَّ بِها قُل إِنَّمَا الآياتُ عِندَ اللَّـهِ وَمـا يُشعِرُكُم أَنَّها إِذا جاءَت لا يُؤمِنونَ) [1] كذلك فإن المعجزة يتعذر معارضتها، ومن جنس دعـوة الأنبيـاء (عليهم السلام)، وموافقة، ومقارنة لدعوتهم، إلاَّ معجزات وآياته ﷺ ، فمن الجدير بالذكر اختلافها عـن معجزات الأنبياء السابقين.(كما سبق)

حيث إن معجزاتهم من جنس ما برع فيه قومهم، ومحدودة بزمانهم ومكانهم. أمـا سـيدنا محمـد ﷺ معجزاته وآياته باقيات، وشاملات في كل الأزمنة إلى يوم القيامة، ولكل الناس على الأرض. ولا يتسـع المقام للتحدث عن تفصيل ما اختص به ﷺ من آيات ومعجزات وإن القرآن الكريم، و السنة النبوية مـن آيات،وحياته ﷺ من فضائل، وأنوار، وما حدث له في الإسراء والمعراج.... وغير ذلك مما لا يحصـره حديث العلماء في كل زمان ومكان. فمع التغير في العالم، والارتقاء بين الناس تبقى معجزاته وآياته ﷺ، واضحة على صدق رسالته ﷺ قال الله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّـهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [2]

الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة:

مما سبق يتضح أن من البداهة، والضرورة العقلية سمو وعلو معجزة الأنبياء، وأنه لا تشابه قط بينهما وبين السحر، هذا يبين خطأ المعتزلة عندما أنكرت حقيقة السحر الواضحة، كمَّا لم يستطيعوا التفرقة،بينه وبين المعجزة يبين ذلك النقاط التالية:

أولا: المعجزة لمن اختصهم الله تعالى لهداية البشر، وليخرجهم الله تعالى من الظلمات إلى النور.

ومن ثم (كما سبق) ليست بأمر خارق للعادة فقط، بل مقرون بالتحدى، بمثله، وضح فيه صدقهم، بهذه الآيات السماوية التى تتنزل عليهم من الله تعالى.

والكرامة: التى هى اسم تكريم الأولياء من عباده الصالحين، على الرغم من أنها خارقـة للعادة(كمـا سبق)، لكنها ليست بقدر، ولا بمثل المعجزة، كذلك هى تخص المكرم بها وأحواله؛ ولذلك فليست مقرونة بالتحدى، فإنها ليست برسالة، بل هبة ومنحة من الله تعالى. وهى مع ذلك من جنس المعجزة؛لأنها خارقة للعادة لتكريم الله تعالى عباده الصالحين، وعلى نهج الأنبياء والرسل(عليهم السلام)

([1])الأنعام : آية 109.

([2]) فصلت: آية 53.

أما السحر: هو علم يكتسب بالتعليم، والصناعة، والتدريب لقوله تعالى: **(وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ)** [1]

وقال تعالى: **(وَأَلقِ ما في يَمينِكَ تَلقَف ما صَنَعوا إِنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى)**[2]

وقال تعالى: **(فَلَمّا أَلقَوا قالَ موسى ما جِئتُم بِهِ السِّحرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصلِحُ عَمَلَ المُفسِدينَ)**[3]

ولذلك يستطيع أن يأتى بالسحر أى إنسان كفر بالله تعالى بالتعليم، إذا أراده، وسلك طريقه، على نقيض المعجزة التى خصها الله تعالى فقط، لمن اصطفاهم الله تعالى من عباده

ثانيا: المعجزة تنزل من السماء إلى الرسل والأنبياء. بإذن الله تعالى؛ ومن ثم فهم**(عليهم السلام)** بإمدادٍ ونصر من الله تعالى. أما السحرة فهم على خلاف ذلك تمامًا، فهى من ظلمات أنفسهم، وبإمداد من الشياطين سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ثالثا:المعجزة لا يمكن إبطالها أبداً، فلا يستطيع إنسان قط مهما أوتى من قوة شيطانية، أن يؤثر عليها بشئ، من ظلمات نفسه، أو على الأنبياء والرسل**(عليهم السلام)**. على نقيض ذلك نجد أن أى مسلم مؤمن قوى العقيدة يستطيع بآيات من القرآن الكريم، وما يتلوه من الأدعية المروية عن رسول الله(ﷺ)، وقوة يقينه بالله تعالى أن يبطل سحرهم مهما كان بإذن الله تعالى.

رابعا: أن السحر لا يعرفه، ويصنعه إلاَّ الفاسق الكافر؛ ولذلك لا يفعل إلاَّ الشر، والظلمات بالناس، ولا يفرق في ذلك بين صديق وعدو، فكلهم في ظلماته السحرية سواء.

خامسا: أن السحر كما سبق- سيبطل بصدق الإيمان، وبآيات وبذكر الله تعالى، فلا بقاء له مع صدق العقيدة بالله تعالى. أما المعجزة فهى باقية، ومستمرة، يستوى ذلك بين رسول الله(ﷺ)، والأنبياء قبله بالقصص الكريم فى القرآن العظيم؛ ولذلك فلا مكان للسحرة إلاَّ بين ضعاف العقول، وجهلة الناس، ومن يريد طريق الضلال.

سادسا: كما رأى الإمام "ابن تيمية" أن النبى معصوم، ومعجزاته دلَّت على نبوته، ومتباينه وضحت دينه؛ولذلك وجب قبول كل ما يقول؛ لكونه نبيًا ادعى النبوة، ودلَّت المعجزة على صدقه، **أما الكرامة:**لا

([1]) البقرة: آية 102.

([2]) طه: آية 69.

([3]) يونس: آية 81.

تكون إلاَّ من الصالحين، الذين هم على نهج النبوة، الذين يدعون إلى طريق الأنبياء، لا يخرجون عنها، وأنها أيضًا بمنزلة ما تقدم الأنبياء من إرهاصات، فالأولياء دون الأنبياء. فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة، والثواب إلى درجاتهم. وأن كرامات الأولياء تدل على صحة الدين، الذى جاء به الرسول، لكن لا تدل على أن الولى معصوم، ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقوله.[1](كما سبق ذلك).

ومصداقاً لذلك قوله تعالى: **(إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ)**[2]

قال الله تعالى: **(أَلا إِنَّ أَولِياءَ اللَّـهِ لا خَوفٌ عَلَيهِم وَلا هُم يَحزَنونَ)**[3]

أما السحر هو أعمال شيطانية تجمع مع الكفر بالله تعالى، والشرك، والظلم والعدوان على الناس. ومن أدرك حقيقته وغايته علم أنه ظلمات بعضها فوق بعض، ظلمة الشرك بالله تعالى، وظلمة التسلط الشيطاني وظلمة الكذب، وظلمة الفسوق[4] ظلمات تنفر منه القلوب، والفطر السليمة، فضلاً عن المسلم الصحيح الإيمان؛ ولذلك فالساحر والمؤمن له هما في النار، لقوله تعالى: **(وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[5]

أما الأنبياء معصومون من الكذب، والفسق، والكفر، والظلم، فإن ظاهرهم هو باطنهم من كمال الصفات الحميدة، والأخلاق الربانية.

سابعا: أن مكاشفات السحرة، ليست من قبيل الخوارق كالمعجزة؛ فإن الساحر كلما كانت نفسه مظلمة وكفره أعظم كلما أتقن تعلم طرق السحر، وبالاتصال المباشر مع الشياطين. يتحدث عن ذلك الإمام "ابن القيم" **(رحمه الله)**، فيرى أن الكشف الجزئى المشترك بين المؤمنين، والكفار، والأبرار والفجار، كالكشف عما في دار إنسان، أو عما في يديه، أو تحت ثيابه....كذلك ما غاب عن العيان.

فإن ذلك يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة؛ ولذلك يقع من الكفار كالنصارى، وعابدى النيران والصلبان، فقد كاشف ابن صياد النبي(ﷺ) بما أضمر له، وخبأه، فقال له رسول الله(ﷺ)**(إنما أنت من**

([1]) تابع: النبوات: ابن تيمية: ج1:ص6 (بتصرف).

([2]) التكوير : آية 19-25

([3]) يونس: آية 62.

([4]) تابع أحاديث السحروالرقية فى الكتب الستة: طبع على نفقة أهل الخير ص239(بتصرف).

([5]) البقرة: آية 102.

إخوان الكهان)؛ وكذلك مسيلمة الكذاب مع فرط كفره، كان يكاشف أصحابه، بما فعله أحدهم في بيته، وما قاله لأهله، يخبره به شيطانه؛ ليغوى الناس... والكثير من ذلك الطريق.[1] قال تعالى: **(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)**[2].

وأشير كما هو واضح للناس كافة أن مصلحة الأنبياء الخير للناس كافة؛ أما عمل الساحر من باب نيل المصالح الدنيوية، ولتعظيمه وتقديسه عند الناس. وعلى ذلك فإن ما تخبره الشياطين للسحرة والكهان، هو في حقيقته ليس بغيب، حيث إنه لبعض من الأمور، بما يأكلون ويدخرون....وهكذا، وأنهم في كثير من الأمور يكذبون، والأكثر يقفون عاجزين عن الإخبار، على وجه الخصوص لمن حافظ على أذكاره، وسَّمى الله تعالى في كل أموره وأحواله.

وقفة جديرة بالذكر حول رأي المعتزلة في خوارق العادات:

في الواقع أن المعتزلة لتفريطها في حكم العقل حول الشرع والمسائل الكلامية لم تفرق بين خوارق العادات، ولذلك كان جدالها فيه الكثير من التناقض والخلاف، حيث إن في نقضها لم تفرق بين خوارق العادات كمعجزة من الله سبحانه وتعالى، وبين ما يندرج تحتها من كرامات للصالحين، وأيضا بين الاستدراج، والسحر الذي هو من التلقين والتعليم والكفر....وبين المعجزات.

وعلى سبيل المثال: في أثناء ردودها على من جوز ظهور المعجزة على الصالحين:«...فإن قالوا: إن إن الذي يجوز عليهم هي الكرامات دون المعجزات. قيل لهم: ما الذي تريدون بالكرامات؟ فلا يخلوا قولهم من أن يرجعوا إلى ما ينقض العادة، كما قلناه في المعجزات، فيؤول الخلاف فيه إلى عبارة؛ لأننا قد بينا أن ذلك لا يصح؛ فاختلاف العبارات لا يؤثر فيه، وإن أرادوا بذلك مالا ينقض العادات فهذا مما يجوز ظهوره على الصالحين فضلا عن الطالحين؛ لأنه قد يكون بمنزلة المرض والصحة والغنى والفقر والأمطار والزلازل. فإن قالوا: نعني بالكرامات ما تقصر مرتبته عن المعجزات؛ فقد بينا من قبل، أن الصغير من ذلك في حكم الكبير، وأنه لا معتبر بالصغر والكبر، فليس لهم أن يقولوا أن إحياء صغير الحيوان كرامة، وإحياء الموتى من الناس معجزة، لأن الحال في الجميع واحدة إذا استوت في انتقاض العادة بها»[3]

([1]) مدارج السالكين: ابن قيم الجوزية: ط دار الحديث: ج3: ص227.(بتصرف)

([2]) الشعراء : آية 221:223

([3]) تابع المغني في أبواب التوحيد والعدل: إملاء القاضي أبي الحسن عبد الجبار. تحقيق: محمود الخضيري- د/محمود محمد قاسم مراجعة د/إبراهيم مدكور – إشراف د/ طه حسين .ط :الدار المصرية للتأليف والترجمة 1385هـ- 1965م جـ15صـ243،242

والخلاصة أن المعتزلة أنكرت الكثير من خوارق العادات ونفت ظهورها، حيث إنها لا ترى أي خارقة للعادة إلا أنها المعجزة مثلها بمثل التي ظهرت على الأنبياء والرسل.

وذلك أيضا يتضح جليا عند الحديث عن أن المعجزات لا تختص إلا بالأنبياء دون غيرهم: «أعلم ان الخلاف في ذلك من وجوه، فمنهم من يجوز ظهورها على الكذاب دلالة على كذبه، ومنهم من يجوز ظهورها على السحرة والكهنة»[1] فإن ما يظهر على السحرة والكهنة(وهو موضوع البحث) لا يعد من المعجزات، ولاهو مندرج تحتها، حتى تعرفه المعتزلة كما سبق في هذا القول؟!!

علاقة السحر بالعين والحسد:

إن للسحر علاقة قوية بالعين والحسد والكهانة، وإن كان السحر شديد وواسع في طرقه المؤذية، إلاَّ أن تجمعهم استحضار الشياطين، وطبيعة النفس الخبيثة في الشر، يبين ذلك التالي:

العين:

مأخوذة من عان، يعين إذا أصابه بعينه، وأصلها من إعجاب العائن بالشيء، ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة، ثم تستعين على تنفيذ سمّها بنظرها إلى المعين، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى: **(عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)** [2]

فكل عائن حاسد، وليس كل حاسد عائنًا، فلمَّا كان الحاسد أعم من العائن، كانت الاستعاذة منه استعاذة من العائن.

وهى سهام تخرج من نفس الحاسد، والعائن نحو المحسود، والمعين تصيبه ضارة، وتخطئة تارة، فإن صادفته مكشوفا، لا وقاية عليه أثرت فيه. [3]

وقد ثبتت الأحاديث عن النبي ﷺ في الإصابة بالعين، فمن ذلك ما ورد فى الصحيحين، عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان رسول ﷺ يأمرني أن استرقى من العين) [4]

فإن للعين أثرًا كبيرًا في المعان، فيمرضه أو يقتله، أو يتلفه بمشيئة الله تعالى، وذلك إذ لم يتبع المعان الأصول الشرعية، عندما يرى شيئا يعجبه، فيجب عليه أن يذكر الله تعالى (بسم الله ما شاء الله تعالى).

([1]) تابع تفصيل ذلك في المرجع السابق جـ15:صـ 216.

([2]) العلق : آية 5.

([3]) فتاوى العلماء في السحر: اللجنة الدائمة للإفتاء: ط مكتبة الصفا: ص 585.

([4]) متفق عليه رواه البخاري (5738) كتاب الطب، ومسلم (2188)

وإن للعلماء تفسيرات متعددة لحقيقة العين، فقيل: أن العائن يبعث من عينه قوة سمية، تتصل بالمعان فيهلك، أو يهلك نفسه، ولا يبعد أن تنبعث جواهر لطيفة، غير مرئية، من العين فتتصل بالمعين، وتتخلل مسام بدنه، فيخلق الله (تعالى) الهلاك عندها. كما يخلقه عند شرب السم. [1]

وهو في الحقيقة فعل الله تعالى، لكن هذا ليس على القطع، بل جائز؛ ولذلك قال ابن القيم "رحمه الله": أنها سهام تخرج من نفس الحاسد، والعائن نحو المحسود، والمعين تصيبه تارة، وتخطئه تارة". [2]

قال تعالى: (وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) [3].

ولذلك اتفق العلماء أن العائن حاسد، وهو أضر من الحاسد ، وقيل أن الله سبحانه ذكر في سورة (الفلق) الحاسد لشموله العائن، فإذا استعاذ المرء (برب الفلق) من شر الحاسد، استعاذ أيضًا من العائن .

أما الحاسد:

تقول العرب حَسَدَه يحسِدِه ويحسُدُه حسدًا وحسده، إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته، أو يسلبهما هو، فالحسد هو تمنى زوال نعمة المحسود.

وقيل: هو تمنى مثل النعمة، التى وهبت لغيره، من غير أن يتمنى زوالها عن صاحبها، فذلك تسمى بالغبطة، التى هى التمنى بمثل النعمة، ولا يتمنى زوالها عنه. [4]

وعلى كل يكون على حسب نفس الحاسد، والعائن معًا، في شدةَ الشر وأثره على المحسود.

والحاسد تتكيف نفسه بالخبث، فتصبح نفسًا غضبية خبيثة حاسدة.

وتؤثر في المحسود بطريقتين:

الأول: قوة النفس الذاتية، وهى في هذه الحال تؤثر في المحسود غاب أم حضر .

الثانية: بطريق عين الحاسد، وهذا لا يؤثر إلاَّ إذا كان المحسود موجودًا، ونظر الحاسد إليه نظرة شر وحسد، إذ لو نظر إليه نظرة وهو ساه لاه، فإنه لا يؤثر فيه شيئًا.

أما العائن الذى يمرض ويؤذى غيره، سبب تلك النظرة الخبيثة، المنبعثة من أعماق نفسه، يضرُ غيره لشدة العداوة والحسد، فإذا توجهت نفسه الخبيثة إلى المنظور إليه أضرَّ به. [1]

([1]) تابع فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، ط1 المكتبة التجارية الكبرى – (مصر) ج5: ص194 (بتصرف).

([2]) فتاوى العلماء في السحر: اللجنة الدائمة للإفتاء: ص 585.

([3]) سورة القلم: آية 51.

([4]) تابع زاد المعاد في هدى خير العباد: ابن قيم الجوزية: ط مؤسسة الرسالة (بيروت) :ج4: ص167: (بتصرف).

وإن الضرر على حسب خبث النفس، وشرها، فعلى قدر ظلمتها وكفرها يكون الضرر.

وعلى كل يجمعهم عدم ذكر الله تعالى، وضعف ونقص الإيمان به سبحانه وتعالى.

ومن ثم فإن العلاقة وثيقة بين السحر والحسد.

أولاً: قصد ونية الشر، والنفس الأمارة بالسوء.

ثانيًا: إن العين والحسد هما بدايات للإستعانة بالسحرة؛ ولذلك فإن الشياطين تعين الحاسد، والساحر.

فالعائن والحاسد دون قصد منهما تحضرهما الشياطين، أما الساحر يطلب استحضارهما.

ولذلك قال تعالى في سورة الفلق: **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)** فقد جمع سبحانه بينهما في الآية الكريمة.

وإن أثر الحسد بيّن، وإن اختلف العلماء في تفسيره، وكيفيته، وهو معروف عند العامة والخاصة من الناس، وقد اكتشف العلماء في العصر الحديث حيوانات برية، وبحرية تبعث من عينها أو جسدها، أشعة سامة تقتل غيرها من الحيوانات، فلا يستبعد أن يحدث ذلك من الإنسان، إذا خلت نفسه من ذكر الله (تعالى)،والإيمان به سبحانه وتعالى. فإذا تكيفت النفس بالكيفية الرديئة، انبعت من عينها قوة سمّية تتصل بالمعين، فمع استحضارها للشيطان، يحدث الضرر. ولذلك ينبعث منها القوة السمّية، وقد صورها العلماء بالأفعى، فإن هذا الأمر اشتهر عن نوع من الأفاعى، إذا وقع بصرها على الإنسان هلك، فكذلك العائن.

لكن المذهب عند أهل السنة أن الله تعالى أجرى العادة، بخلق ما يشاء من الضرر، عند مقابلة عين العائن، من غير أن يكون منه قوة، ولا سبب ولا تأثير أصلاً. [2]

وعلى كل أمرنا الله تعالى، وسنة رسول الله(ﷺ) الاستعادة والتحصين، من شر هذه النفس الخبيثة الحاسدة المؤذية، التى تكيفت بكيفية خبيثة مؤذية للناس

العلاقة بين الساحر، والكاهن، والعراف، والمنجم:

إن العلاقة وثيقة، بين الساحر، والكاهن، والعراف والمنجم، وان كان يتشابه عملهم وكفرهم. كذلك فإن في توضيح هذه العلاقة، يتضح بدقة عمل الساحر يوضح ذلك التالى:

فالسحر والكهانة: من إعانة الشياطين لبنى ادم، فإن الكاهن يخبره الجن.

([1]) تابع عالم السحر والحسد: أ.د. عمر سليمان الأشقر : ط دار النفائس: ص80، 81 (بتصرف).

([2])تابع زاد المعاد فى هدى خير العباد: ج 4: 166 (بتصرف).

وإن الساحر (بإذن الله تعالى) يقتل، ويمرض، وكما قيل من الجائز أن يصعد في الهواء... ونحو ذلك بإعانة الشياطين له، فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس.

ومفهوم الكهانة: هى كلمات تجرى على لسان الكاهن، وربما توافق وربما تخالف. وكذلك كلمات الساحر أكثرها الكذب.

وقيل أن **الكاهن:** هو الذى يخبر بالأخبار الماضية الخفية، بضرب من الطعن، **لكن الساحر:** يدعى بتسخير الجن، وبلوغ الآمال، والتأثير في الخواطر.

والمشعوذ: هو ما يكون من السحر، ولكن بخفة اليد، وهو البريد لخفة سيره، وله أثر على المشعوذ له، كالسحر.

أما **العراف:** هو الذى يخبر بالأخبار المستقبلية، أيضا بضرب من الظن، قال تعالى: **(وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ)** [1] أو هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات، وأسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذى سرقه، ومعرفة مكان الضالة، ونحو ذلك.

وهكذا أيضا قال الإمام النووي:

أن **الكاهن** إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن، في المستقبل، ويدعى معرفة الأسرار.

والعراف: يتعاطى معرفة الشئ المسروق ، ومكان الضالة، ونحوهما[2]

وأما **المنجم:** هو ساحر يدعى علم الغيب يدخل في مفهوم الكاهن، في نهيه (ﷺ)، في خطبته للإمام على (كرم الله وجه)، منها أذكر:

" يا أيها الناس إياكم وتعلم النجوم، إلاَّ ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر؛ وإنما المنجم كالساحر،والساحر كافر، والكافر في النار، والله لئن بلغنى أنك تنظر في النجوم، وتعمل بها لأخلد بك في الحبس ما بقيت، ولأحرمنك العطاء ما كان لى سلطان. ثم سافر في الساعة التى نهاه عنها، ولقى القوم،فقتلهم في وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم. ثم قال: لو سرنا في الساعة، التى أمرنا بها،وظفرنا، لقال قائل سافر في الساعة التى أمرنا بها المنجم. ما كان لمحمد(ﷺ) منجم، ولا لنا من بعده،

([1]) الحاقة: آية 42.

([2]) تابع شرح النووى على صحيح مسلم: ج5:ص7(بتصرف) وتابع حجة الله على العالمين من معجزات سيد المرسلين: الإمام النبهانى ص44(بتصرف)

فتح الله علينا كسرى وقيصر، وسائر البلدان، ثم قال: يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به، فإنه يكفي ممن سواه"[1]

ومن حكم الله(سبحانه وتعالى) في النجوم:

1- جعلها زينة للسماء
2- وجعلها ليهتدى بها.
3- وجعلها رجوما للشياطين.[2]

وإن غير ذلك يعتبر كهانة، باستحضارهم للشياطين قال الله تعالى: **(وَعَلامات وَبِالنَّجمِ هُم يَهتَدونَ)** [3]

ولذلك قيل: أن أناسًا جهلة بأمر الله تعالى، أحدثوا من هذه النجوم كهانة:"من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. ومن ولد بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا. وما من نجم إلاَّ يولد به الأحمر، والأسود، والقصير، والطويل والحسن، والذميم، ولا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاَّ الله تعالى[4]

فمن اعتقد في هذه النجوم التأثير بذاتها فقد كفر بالله تعالى، والعمل بمقتضاه، كالتقرب إلى النجوم وتقديمهم القرابين لها طبعًا كفر؛ ومن ثم فإن النجامة تدعو إلى الكهانة، والمنجم كاهن، والكاهن ساحر والساحر كافر في النار[5]

وقفة جديرة بالذكر:

مما سبق يتبين خطأ من عّرف السحر أنه من قبيل خوارق العادات والكرامات؛ وهذا لا ينفي غرابة الأفعال السحرية ودقتها، وخفتها، حيث إنها ترجع إلى أمرين:

أولا: استعانة الساحر بالشياطين، بعزائم، ورقى يتقن صناعتها.

ثانيا: أن السحرة اعتمدت في أعمالها السحرية على الخداع، والحيل، والخفاء، كذلك والتخيل على غير الحقيقة، وهو الذى ليس له حدود في المسحور له(كما سيتبين بتفصيل في الفصل التالى):

([1]) تابع الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبى: ج19: ص27(بتصرف) ط: دار الشعب (القاهرة).

([2])تابع تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ط الكليات الأزهرية: ج6:ص187(بتصرف).

([3])النحل: آية 16.

([4])المرجع السابق: ص188(بتصرف).

([5])تابع فيض القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: تأليف محمد بن على محمد الشوكانى: ط دار الفكر(بيروت)، تحقيق محمد الدين الخطيب:ج 5: ص293(بتصرف).

ثالثا: إن الجن، والشياطين عالم غيبى خلقه الله تعالى قبل الإنسان، لهم قدرات خارقة لعادة الإنسان، فقد أعطاهم الله تعالى من القدرة"كما سيأتى" للنفوذ إلى أجساد البشر، وبواطنهم، لا ينكر ذلك إلاَّ مكابر.

تعليق الرازي على رأي المعتزلة:

وقد رأى الإمام الرازى، أنه على رغم من إنكار المعتزلة بذلك، إلاَّ أن المثبتون احتجوا:

1- بأن الجن عبارة عن موجود ليس بجسم، ولا جسمانى، فحينئذ يكون معنى كونه قادراً على النفوذ في باطنه، أنه يقدر على التصرف في باطنه، وذلك غير مستبعد، وان كان عبارة عن حيوان لطيف نفاذ كان نفاذه في باطن بنى أدم غير ممتنع، قياسًا على النفس.

2- قال تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ)** [1]؛ ومن ثم قيل: ما يكون منهم ملازمًا كالقرين، ومنهم ما يكون طائفًا، وما يكون مرضًا، وما يكون منهم عداوة. وكل ذلك إنما سعى من الشياطين للتلبيس على الناس، سعيًا لاستدراجهم والوسوسة عليهم، وأذيتهم، بحسب مداخلهم على المرء؛ولذلك كان من استعاذة النبى(ﷺ): **(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفثه....)** [2]

ولذلك رأى ابن تيمية أنه قد علم بالسمع والعقل، أنه إذا فرغ قلبه من كل شئ لله تعالى، حلّت فيه الشياطين، ثم تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تتنزل على الكهانة، فان الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن ادم، ما فيه ذكر الله تعالى الذى أرسل به رسله، فإذا خلا من ذلك تولاه الشيطان قال الله تعالى: **(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)** [3]

وقال الشيطان فيما أخبر الله تعالى عنه: **(قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)** [4]، وقال تعالى: **(إِنَّ عِبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهِم سُلطانٌ إِلّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغاوينَ)** [5]

ومن الجدير بالذكر، ما ذكره ابن تيمية فى أنواع الخوارق، حيث رأى أن منها المحمود، ومنها المذموم، ومنها المباح.

([1])البقرة:آية 275.

([2])تابع مفاتيح الغيب: الرازى: ط الكليات الازهرية ص75(بتصرف).

([3])الزخرف: آية 36-37

([4])ص: آية 82.

([5])الحجر: آية 42.

ولذلك قال ما يجب طلبه، والعمل به الاستقامة لا الكرامة. ومن منحه الله تعالى بالكرامة، فليحمد الله تعالى بملازمته للاستقامة فى الدين. [1]

ظهور المعجزات على أيدي الكذابين من المقدورات عند المعتزلة :

ذهب القاضي أبو بكر وجماعة من المعتزلة إلى أن إظهار المعجزات على أيدي الكذابين من المقدورات، لكن اختلف هؤلاء فمنهم من قال: أن انخراق العوائد وقلبها غير مستبعد في مقدور الله تعالى وعلى هذا فال يمتنع اظهار المعجزات على أيدي الكذابين[2] .

وعلى الرغم من ذلك ذهب أكثر المعتزلة إلى انكار ظهور الكرامات على أيدي الأولياء، لكن القاضي أبو بكر رأى أن ذلك غير ممتنع في العقل بشرط ألا يكون ادعاؤه لذلك على طريق التعظيم والخيلاء، فإن ذلك ليس من شعار الأولياء، والصالحين، والفرق مع ذلك بين المعجزات والكرامات، **هو أن المعجزات مع دعوى النبوة والكرامة مع دعوى الولاية ولا منافاة[3].**

ولذلك ومن الجدير بالذكر: أن السحر وإن أنكره معظم القدرية غير أن أهل الحق معترفون به، ومع ذلك فالحق أن يقال: السحر لا يخلو: إما أن ينتهى إلى حد المعجزة: كفلق البحر ،وإحياء الميت، وإبراء الأكمه، والأبرص أو أنه لا ينتهى إلى حد الإعجاز.

فإن كان الأول: فقد تحقق الفرق بين السحر والمعجزة.

وإن كان الثاني: فإما أن لا يتحدى معه الساحر بالنبوة، أو يتحدى فإن لم يتحد، فقد تم الفرق أيضا.

والخلاصة أن الدال على صدقه هو الخارق؛ وذلك ليس من فعله، ودعوى النبي، **وإن كانت من فعله وهو شرط فليست خارقة ولا هي من دليل الصدق في شيء[4] .**

رأي الإمام أبو الحسن الأشعري:

والذي ذهب إليه الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه:

القول باستحالة المعجزة على أيدي الكاذب، وانه غير محدود م نجملة المقدورات لوجهين .

([1])تابع المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات: ابن تيمية: ط مكتبة الصحابة: ص17(بتصرف).

([2])تابع ابكار الأفكار في أصول الدين: الآمدي : جـ4صـ 62،63(بتصرف)

([3])المرجع جـ4:صـ59،60(بتصرف).

([4])المرجع جـ4:صـ56(بتصرف).

الوجه الأول: أن المعجزة دلالة على التصديق قطعا فإن دلت، فقد جعل الكاذب صادق وهـو محـال، وإن لم تدل فيفضي ذلك إلى انقلاب دلالة ماوجبة، وخروجه عما وجب له، وهو محال كما فـي الأدلـة العقلية.

الوجه الثاني: أن المعجزة لو ظهرت على يد الكاذب لما كانت مقترنة بالتصديق، لما فيه من إخـراج الواجب عن كونه واجبا[1]

* * * * *

([1]) المرجع جـ4:صـ63،62(بتصرف).

الفصل الثاني
موجز عن السحر في الشرائع الأخرى

تمهيد:

إن السحر محرم في كل الأديان المنزلة؛ ولذلك فإن الفطرة الإنسانية تأباه، وتكره وجوده. وتعرف بطلانه وفساده.

فكلما فسدت الناس، وبعدت عن دين الحق، انتشر هذا الكفر بين الناس، لقوله تعالى: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[1] ومن ثم علي الجانب الآخر، نري أن الشرائع الوضعية، ينتشر فيها هذا الفسق؛ ولقد سبق في المقدمة الإشارة بأن السحر بعيد الغور في تاريخ البشرية ، مع أول ضلال عن طاعة الله تعالي؛ وذلك لثلاث أسس هامة:

أولها : قوله تعالي: **(كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)** [2] ولا يوجد أمة من الناس، إلاّ فيها نذير من الله تعالي ، قال تعالي: **(إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ)** [3]

الثاني: منذ أن خلق الله تعالي الإنسان ، والعدو الأول له علي الأرض، هو إبليس ، وجنوده ، فهو لم يترك الإنسان قط، وإن من أكبر ما يزينه للناس هو السحر ، في إضلال، وأذى ، وقتل الناس بعضهم لبعض، قال الله تعالي: **(قالَ رَبِّ بما أَغوَيتَني لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فِي الأَرضِ وَلَأُغوِيَنَّهُم أَجمَعينَ إِلّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلَصينَ)**[4] وقال تعالي: **(قالَ رَبِّ فَأَنظِرني إِلى يَومِ يُبعَثونَ قالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرينَ إِلى يَومِ الوَقتِ المَعلومِ)**[1]

([1])سورة البقرة : آية 01 1-102.

([2])سورة الذاريات: آية 52.

([3]) سورة فاطر: آية 24.

([4]) سورة الحجر: آية 39-40

ولذلك منذ أن عرف الإنسان الله تعالي، بدلالة أنبياءه ورسله، ويغوييهم إبليس وجنوده لعنه الله تعالي ، إلاّ عباد الله تعالي المخلصين.

الثالث: ما خلفه الإنسان منذ القدم من آثار، ورموز ، وتصاوير وأساطير، ما أكتشف منها يدل دلالـــة قوية، علي استخدامه للطلسمات السحرية.

وعلي قدر المتاح لي، والمتيسر أعرض موجز من السحر في الشرائع الأخرى ، يبين ذلك التالي:

* * * * * *

(1) سورة الحجر: آية 36-38.

المبحث الأول

صورة موجزة من طرق السحرة في العالم القديم

تمهيد:

من الجدير بالذكر: كلما كان الإنسان علي الدين الحق، كلما كان بعيداً عن كل أبواب الباطل.

وإن أقوي الإنسان سحراً ، هو أشدهم كفراً ، وأخبثهم ، وأفسقهم. فهذا الميزان يوزن به أعمال الأمم السابقة ، كما يوزن به العالم الآن.

والسحر، كما هو معروف:

هو أعمال شيطانية ، تختلف في هيئتها ، وصورها ، علي حسب مطالب الشيطان الرجيم وجنوده، من حزبهم من الناس.

ومن ثم فالكفر والفسق فيه يتنوع ، ويختلف، كما يتشكل علي حسب ما يستهوي أهل الباطل.

ولذلك قيل:أن طريق الهند في السحر ، بتصفية النفس.

وطريق النبط فيه : يعمل العزائم ، وهي مواثيق ، وعهود شيطانية ، يقسم بها الساحر علي الجن فتستجيب له في مطالبه الخبيثة.

وطريق اليونان: بتسخير روحانية الأفلاك ، والكواكب[1] لكن كما يتبين أن الكثير من تلك الأمم وغيرها، تجمع بين عديد من الطرق ، علي اعتقادها بما هي فى أكثرها أثراً ، والمشهور في عصرها، يبين ذلك التالي:

الأمثلة التي توضح السحر فى العالم القديم.

1- السحر عند الفرس:

يذكر أن "ابن كثير" في "البداية والنهاية" أن "رستم" قائد الفرس الكبير، كانت عقيدته السحرية في النجوم؛ ولذلك من الأسباب، التي دعته إلى تأخير ملاقاة المسلمين، في معركة القادسية[2]، حيث نافت على أربعة أشهر، بسبب اعتماده ، على هذا الكفر؛ ولذلك كما قيل أن راية كسرى، كان منقوشًا عليها

([1])تابع كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/مصطفي بن عبد الله القطنطيني الرومي الحنفي: دار الكتب العلمية جـ 2: ص 98(بتصرف) بيروت 1413هـ- 1992م

([2])القادسية: بلد جنوب العراق وهى موقعة بين المسلمين والفرس بقيادة سعد بن أبى وقاص فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وكان الفرس بقيادة رستم سنة16 من الهجرة، وهى من أعظم وقائع المسلمين، وأكثرها بركة، قتل فيها رستم، ولم تقم للفرس بعدها قائمة.(معجم البلدان – ياقوت الحموى : ج4: ص393: ط صادر بيروت 1995م).

بالذهب طلسمات سحرية، في أوضاع فلكية خاصة، لاستمرار نصر الفرس، وقد وجدت هذه الراية ممزقة،وقتل قائدهم "رستم"، عندما جاء الحق وزهق باطلهم، ولم يغنِ عن الفرس سحرهم شيئاً، وقد ذكر أن الفرس قد تأثرت بالسحر البابلى، عندما استولى بعض ملوكها على مدينة "بابل". [1]

2- السحر عند الهنود:

إن الهند أمة كبيرة، مللها متعددة، فمنهم "البراهمة"، المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى "الدهرية"، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية؛ وأكثرهم على مذهب الصابئة، ومناهجها، فمن قائل: بالروحانيات؛ ومن قائل بالهياكل؛ ومن قائل بالأصنام، إلاَّ أنهم مختلفون في شكل الهياكل التى ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم" حكماء" على طريقة اليونانين [2]؛ولذلك اختلط لدى الهنود العلوم الدينية بالسحر، حتى الكتب الطبية الهندية القديمة، رأينا أن هذا العلم، قد اختلط بالسحر في كل مباحثه سواء في بحث العلل والأمراض، أو في طرق التداوى والعلاج. لدرجة أنهم كانوا يزعمون، أن بمقدورهم بهذا العلم أن يجددوا الحيوية في الإنسان، أو أن ينشئوا الحب أو الكره، في أي إنسان لإنسان آخر[3].

وكذلك يعتقدون بأن النجوم لها تأثير عظيم على البشر، ومن ينظر في الحال التى عليها الهند اليوم- على رغم من انتشار الإسلام فيها- فإنه يرى في حاضرها، من عديد الديانات الوضعية، صورة لماضيها الغابر فالسحرة، والكهان، والعرافون، كما قيل يبلغ تعدادهم عدة ملايين، وكتاب" الفيدا" هو الكتاب المقدس عند الهندوس، فعلى سبيل المثال، فان ما ذكر في الملل والنحل للشهرستانى:-

يوضح ذلك: "فرقة أصحاب الفكرة والوهم"، المتفرعة من البراهمة، فقيل عنها أن لها طريقة تخالف طريقة منجمى الروم والعجم، وذلك أنهم يحكمون أكثر الأحكام باتصالات الثوابت، دون النجوم السيارات،وينشئون الأحكام عن خصائص دون طبائعها ويعدون"زحل" السعد الأكبر، وذلك لرفعة مكانه،وعظم جرمه، وهو الذى يعطى العطايا الكلية من السعادة(كما يعتقدون)؛ والجزئية من النحوسة، وكذلك سائر الكواكب، لها طبائع وخواص. فالروم يحكمون من الطبائع، والهند يحكمون من الخواص، وكذلك طبعهم؛فإنهم يعتبرون خواص الأدوية دون طبائعها، والروم تخالفهم في ذلك. وهم يعظمون الفكر، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضيات، التى بها يخبر عن مغيبات الأحوال.... [4]

([1])تابع المرجع :ج7: ص 38.(بتصرف)

([2])تابع أحكام القرآن: أبو بكر الرازى: ج1: ص44(بتصرف) وتابع: السحر: محمد محمد جعفر: ط مكتبة الانجلو: ص11(بتصرف).

([3])تابع قصة الحضارة: ول ديوار : ط لجنة التأليف(الثانية) 1956م: ج3 :221: 242.

([4])تابع الملل والنحل: الشهرستانى: ج4:ص231(بتصرف).

3- السحر عند الإغريق:

لقد آثرت أن اذكر موجز، ومجمل القول من الأثر السحرى، على الحضارة الإغريقية، القديمة؛ لأنه من الجدير بالذكر- كما سبق- كلما بعد الفكر عن شريعة الدين الحق، كلما دخل الباطل، والكفر والفسوق،فقد اختلط لديها الحق العقلى في زعمها بظاهر البطلان، فمن ادعى بتبرئة اليونان القديمة، من الأثر السحرى، بسبب اشتهارها حينئذاك بالحكماء، فقد خدع نفسه، وفهو لم يدرس تفصيل تراثهم الأدبى الإغريقى والفلسفي. وعلى سبيل المثال الأدب الاغريقى، ملئ بالرموز، والطلسمات السحرية، وكذلك قصصهم للسحرة، وعجيب أفعالهم، وأذكر ممن عرف بالأدب (أوربيدس) ذكر الرقى والتعاويذ، والأشربة التى تولد العشق والهيام، وقد قيل: أن علم التنجيم نقل إليهم، في ازدهارهم الحضارى؛ حيث إنهم لم يكتفوا بالسحر البدائى، الذى كانوا يمارسونه من قبل، بسبب حروبهم مع الفرس، فقد كانوا يستخدمونه لغاية ألا وهى النصر عليهم. [1]

وعلى الرغم ما كانوا فيه من حضارة، فكرية إلاَّ أنهم لم يعتمدوا على قوتهم الفكرية، والبدنية؛ وهذا يوضح بعدهم عن الحق الشرعى في الدين الحق. بجانب ما تقدم أذكر أيضًا : أنه قد قيل أن "أفلاطون" وهو من أكبر وأبرز العقلاء لديهم، تحدث عن السحر، في كتبه الفلسفية وخاصة في قوانينه، فقد ذكر أن رجال الطب، والأنبياء والعرافين، هم وحدهم الذين يستطعيون فهم طبيعة السموم، التى تعمل عملها بشكل طبيعى وفهم أشياء أخرى، مثل "التعاويذ"، و"العقد السحرية"، و"التماثيل الشمعية". وقد فسر" أفلاطون" السحر تفسيرًا طبيعيًا، أو عقليًا، حيث تحدث عن الحب الطبيعى، الموائم بين العناصر، على أنه مصدر الصحة والخصب للنبات، والحيوان، والإنسان، وأن الحب المشهور بينهما، هو علة الطواعين، والأمراض، وإن دراسة وفهم هذين النوعين، من الحب وصلتهما، بدورات الأجرام السماوية، وتغير فصول السنة، وهو ما يسمى بعلم الفلك، أو علم التنجيم، وأساس قانونه سيطرة الكواكب على المخلوقات الدنيا. [2]

كما تبين في قوله: أنه ربط بين علم الفلك، في حركة النجوم والكواكب، وحكمة الله تعالى في إبداعه،وزينتها للسموات، وبين علوم التنجيم في تسخير الشياطين، وشتان بين العلمين، في مصدرهما واختلافهما. ولذلك لم يستطع أن يفرق بين العلمين، ولأنه لم يعرف الدين الحق، والحلال والحرام، من العلمين، والضار والنافع فيهما.

([1])تابع عالم السحر والشعوذة:أ.د/عمر سليمان الأشقر: ط دار النفائس ص35:33(بتصرف)

([2])تابع فنون السحر: أحمد الشنتناوى: دار المعرفة: من ص 21:17(بتصرف)

المبحث الثاني
صورة موجزة من سحر أهل بابل

تمهيد:

إن من أقدم الأمم التى مارست السحر، وضلَّت ضلالاً عظيمًا، في ممارسته "أهل بابل".

"وبابل": مدينة بالعراق، على ضفتى الفرات، كانت من أعظم حضارات العالم القديم، اشتهرت بعلوم وفنون، منها العلوم السحرية، والتى فاقت شهرتها فيها.[1] والقرآن الكريم، ذكر هذه البلد بإسمها، قال الله تعالى: **(وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ)** [2] وقد عرفهم " ابن خلدون قائلاً : "وأما وجود السحر في أهل بابل، وهم "الكلدنيون" من النبط و"السريانيون" فكثير، ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار، وكان السحر في "بابل" و "مصر" أزمان بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة"[3] وقيل : "أن أهل بابل كانوا صابئين، يعبدون الكواكب السبعة، ويسمونها آلهة، ويعتقدون أن حوادث العالم كلها، من أفعالها، وهم معطلة لا يعترفون بالصانع الواحد المبدع للكواكب،وجميع أجرام العالم، وهم الذين بعث الله تعالى إليهم إبراهيم خليله (صلوات الله عليه)، فدعاهم إلى الله تعالى. وحاجَّهم بالحجاج، الذى بهرهم به، وأقام عليهم به الحجة، من حيث لم يمكنهم دفعه، ثم ألقوه في النار، فجعلها الله تعالى بردًا وسلاماً، ثم أمره الله تعالى بالهجرة إلى الشام"[4] .

مفهوم صابئة:

في اللغة: صبأ الرجل، إذا مال، وزاغ عن نهج الأنبياء، وقد يقال: صبأ الرجل إذا عشق، وهوى.

وإن مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين[5] . فلكل روحانى "هيكل"، ولكل "هيكل "فلك"، ونسبة الروحانى إلى ذلك الهيكل الذى اختص به؛ نسبة الروح إلى الجسد، فهو ربه ومدبره، ومديرة، وكانوا يسمون الهياكل أربابًا، وربما يسمونها: آباء، والعناصر: أمهات ففعل الروحانيات: تحرياتها على قدر مخصوص لتحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر. فيتبعها قوى جسمانية[6].

([1]) معجم البلدان:ج1 ص309 (بتصرف)

([2]) البقرة: آية 102.

([3]) مقدمة ابن خلدون :ص 927.

([4]) أحكام القرآن: أبى بكر الرازى : 44/1 بتصرف

([5]) الملل والنحل: الشهر ستانى: ج1/ص7 (بتصرف)

([6]) المرجع السابق:ج2 :ص10(بتصرف)

لأنهم كانوا يعبدون النجوم والكواكب، ويعظمونها، فقد كانت السحرة حينذاك تسيطر على العامة من الناس، بحيل كفرية ووهميات، جعلتهم يعتقدون بتأثير الكواكب والنجوم على حياتهم، بالسلب والإيجاب. ويذكر ذلك "أبو بكر الرازى" حيث رأى: أن أهل بابل، كانوا يعبدون أوثانًا، قد عملوها على أسماء الكواكب السبعة. وجعلوا لكل واحد منها هيكلاً فيه صنمه، ويتقربون إليه بضروب من الأفعال، على حسب اعتقاداتهم، من موافقة ذلك للكوكب، الذى يطلبون منه بزعمهم فعل خير أو شر، فيمن أراد شيئًا من الخير والصلاح، بزعمه يتقرب إليه بما يوافق المشترى من الدخن، والرقى، والعقد، والنفث عليها، ومن طلب شيئًا من الشر،والحرب،والموت، والبوار لغيره، تقرب بزعمه إلى زحل، بما يوافقه من ذلك، ومن أراد البرق والحرق والطاعون، تقرب بزعمه إلى المريخ، بما يوافقه من ذلك من ذبح بعض الحيوانات. (1)

وهكذا كان السحرة في تلك الفترة يعتمدون في أعمالهم السحرية، على حركات الكواكب والنجوم،وأوقاتها، في تقاربها، وتباعدها لإعتقادهم بوحى من الشياطين، أنها تؤثر على حياة الآدميين، ومما ذكر عنهم من تأثير الكواكب، على سبيل المثال:

إن ظهور كوكب المشترى في الليالى القمرية، يبشر النساء الحاملات بالمواليد الذكور، وظهور عطارد دليل، على زيادة المعاملات التجارية، وتحسين الأحوال الإقتصادية للبلاد، وكذلك ظهور كوكب زحل يدل على الخلافات العائلية، وتفشى الإجرام بالطرق الخفية. وظهور المريخ معناه: عزل الملوك أو وفاتهم، وتفشى المجاعات والأمراض، أو اندلاع الحروب. وظهور الزهرة: يدل على رواج سوق الزواج، خصوصًا للعانسات(2) .

وكذلك من الجدير بالذكر:

كان من فكرهم أيضًا: في العقيدة الأساسية الخوف من الجن والشياطين، وكانت الحياة اليومية عند هؤلاء، مصبوغة بالأعمال السحرية، فى حركتها وواقفتها، وكان من غرائبهم السحرية، أنهم كانوا يستعملون دماء الطيور بعد ذبحها؛ ولذلك كانوا لا يأكلونها أبدًا، ويعنون بإطعامها لهذا الشأن فقط؛ ولذلك ذُكر: أن مدينة (أور) القديمة، إحدى المراكز القديمة للثقافة السومرية، كانت موطنًا كبيرًا لفنون السحر، وكانت المؤلفات السومرية القديمة، تعج بالموضوعات السحرية، كالترانيم، و الرقى والتعاويذ.

---

(1) تابع بتفصيل: أحكام القرآن لأبى بكر الرازى: ج1 : ص44:45 (بتصرف).

(2) تابع السحر: محمد محمد جعفر: ص 13 (بتصرف)

وقد حفظ ملك أستور (بانيبال) من عام (668 : 626) قبل الميلاد، في مكتبته كثيرًا من النصوص الدينية والسحرية، وقد جمع هذه النصوص من المعابد، المختلفة التى كانت منتشرة في المدن القديمة، وكان أغلبها مكتوبًا باللغة السومرية[1] .

وهكذا كما ذكر الباحثون فى مؤلفاتهم، أن أسس العقيدة في السحر البابلى، وحياة الناس حينذاك؛يتبين بتفصيل أيضًا في ثلاثة أسس هامة:

الأساس الأول:

اعتقادهم بأن الكواكب والنجوم آلهة؛ ومن ثم لها الأثر العظيم (كما يقولون) في حياة الناس، وفي أفعالهم، ومصائرهم.

الأساس الثاني:

اعتقادهم بأثر الأرواح الخبيثة في العالم، فهى مسئولة عن الكوارث التى تحل بالعالم؛ ومن ثم كانت الكهانة والتنبؤ بالغيب أساسية عقيدتهم اليومية.

الأساس الثالث:

أهمية الرقى والتعاويذ، التى كانت لديهم لدرء شرور السحر الأسود، وطرح الأرواح الخبيثة التى تحل بالأبدان، فتسبب لأصحابها الأضرار والأمراض، كما كان من اعتقادهم أنها الأسباب في الكوارث في العالم،كذلك كانت هى السبب أيضًا فيما يحل بالناس من الأمراض والبلايا؛ ولذلك كان لدور السحرة في زعمهم أمر إخراجها من الأبدان، وشفاءهم،[2] أو رفعهم تلك البلايا من الأجسام، والأكوان.

ومن ثم فإن ما يجب ذكره: أن عبادة الكواكب السبعة، كانت منتشرة، ليس في "بابل" فقط، بل كانت شائعة في العراق كلها، والشام، ومصر، وبلاد الروم.

فقد رأى ابن كثير، أن مدينة دمشق: كانوا قد تأثروا بهذا المذهب.فكانوا يستقبلون القطب الشمالى،ويعبدون الكواكب السبعة، بأنواع من الأفعال والمقال، وأنه كان على كل باب من أبواب دمشق السبعة القديمة، هيكل لكوكب منها، ويعملون لها أعيادًا وقرابيناً. [3]

ومن ثم فإن صناعة التنجيم، التى مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية، صناعة محرمة بالكتاب والسنة، وإجماع

([1])تابع فنون السحر دار المعرفة :أحمد الشنتناوى: ص.1 (بتصرف)

([2]) المرجع السابق: ص11: 13 (بتصرف)

([3]) تابع البداية والنهاية:ج1:ص140(بتصرف).

الأمة،بل هى محرمة على لسان جميع المرسلين،في جميع الملل،قال الله تعالى: (وَأَلقِ ما في يَمينِكَ تَلقَف ما صَنَعوا إِنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى)[1] وقال الله تعالى: (انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا)[2] والجبت: السحر، كما ذكر ابن تيمية. وسيأتى تفصيل هذا الباب.

وقفة جدير بالذكر في حقيقة الملكين (في بابل) :

كما سبق قال الله تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [3] لقد حدث في بابل أمر غريب، اختلف حوله العلماء، والمفسرون وذلك في تفسير قوله تعالى: (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ) [4]

الرأي الأول:

قرأ ابن عباس والحسن، وسعيد بن حبير والزهرى: (المِلكين) بكسر اللام، فرأوا أن المراد بهما داود وسليمان، أو رجلان من بنى أدم.

وقال الطبرى بعد ذكره لهذه القراءة: وإجماع الحجة على خطأ القراءة بها، من الصحابة والتابعين وقراءة الأمصار"[5]

واختلف المفسرون في (ما) التي في قوله: (وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ) [6] هل هي موصولة؟ أو نافية؟

فذهب الطبري: أنها موصولة، وتكون في هذه الحالة معطوفة [7] على (ما) في قوله: (مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ) أي اتبعوا ما تتلوا الشياطين، وما أنزل على الملكين.

([1]) طه، آية 69.

([2]) النساء آية 50.

([3]) البقرة: آية 102.

([4]) البقرة : آية 102.

([5]) تفسير الطبرى: ط: ممصطفى البابى الحلبى (القاهرة) الطبعة الثانية 1954م – 1373هـ ج1 ص 459.(بتصرف).

([6]) القرة: آية 102.

([7]) البقرة :آية 102

الرأي الثاني:

يصح أن تكون معطوفة على السحر، والمعنى أن الشياطين يعلمون الناس السحر، ويعلمونهم ما أنزل على الملكين.

ولكن هذا الرأى الأخير في زعم بعض المفسرين:

فقد رفضه البعض من المفسرين منهم القرطبى؛ لأنه يؤدى إلى أن الله (سبحانه وتعالى) أنزل السحر على الملائكة، وأن الملائكة قد علموا هذا السحر للناس.

حيث إن قواعد الشريعة ترفض هذا وتأباه، وإن (ما) في الآية الكريمة معطوفة على قوله تعالى (وما كفر سليمان) فتكون الآية برأت الملائكة، من إدعاء اليهود، من أن الملائكة كانوا يعلمون السحر، كما برأت سليمان عليه السلام. ويكون المعنى: وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين.

الإشكال في تفسير القرطبى:

أن الآية بعد ذلك، قد دَّلت دلالة واضحة، على وجود اثنين مع الشياطين، كانا يعلمان السحر، بعد نهيهما للمتعلم، وقولهما بأنهما اختبارًا من الله تعالى؛ قال الله تعالى: **(وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ)** [1] ولذلك قد بالغ القرطبي.. وغيره من المفسرين؛ لإثبات رأيهما، فرأوا أن الآية الكريمة، فيها تقديم وتأخير، والتقدير فيها: **(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ)** وهذا لا يصح في كلام الله تعالى، المعجز في كل شيء. [2]

ومن ثم فإن أكثر من رأى ذلك الإشكال، رجح القول الذى هو قد وضح من ظاهر الآية الكريمة، من أن الله تعالى أنزل السحر على الملكين و"ببابل" فتنةً واختبارًا وابتلاءً .

والله تعالى حكيم عليم بما يريده، وقد خلق إبليس الذى هو أصل الشر على الأرض، وحذر الإنسان من وسوسته.

وعلى ذلك علل أصحاب هذا الرأى؛ بأن في هذا الزمان الذى ظهرا فيه "هاروت"، و"ماورت"، كان يظن الناس بأن السحر من العلوم العظيمة، الذى لا يناله إلاَّ الخاصة من العلماء، فأراد الله تعالى أن يعلمهم بطريقة عملية، بأن السحر كفر، ويستطيع أى إنسان أراد هذا الطريق أن يتعلمه.

فهما من قبيل الفتن والإختبارات للناس في هذا العصر، والتى اختلفت ظروفه، وملابساته عن غيره من العصور الأخرى.

([1]) البقرة :آية 102 .

([2]) تابع تفسير القرطبى: ج2:ص50:53 ط دار الكتب المصرية 1387هـ ــ 1967م (بتصرف)

ومن ثم فإن أنزال الله تعالى للملكين "هاروت وماروت"، قاعدة استثنائية، وتعليمها هذا العلم، من الفتن والإختبارات، والله تعالى أعَّلى وأعلم.

ولذلك قال "الإمام الالوسى": "وهذان الملكان أنزلا لتعليم السحر ابتلاءً من الله تعالى للناس، فمن تعلم، وعمل له كغيره، ومن تعلم، وتوقي عمله ثبت على الإيمان؛ والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، كما امتحن قوم طالوت بالنهر"[1]

وهذا لا يعنى أنه يجوز لأى إنسان، أن يتعلمه، من نفسه (كما سيأتى)، لأن الله تعالى قد كلف الملكين، في هذا العصر، من هذين الملكين بالذات، لحكمته في هذا العصر فقط.

ومن الجدير بالذكر، أن القصص حولهما من الوهم، والخيال ما ليس له حد، ولا وصف، والأولى والأحسن للمسلم المؤمن أن لا ينساق لمثل هذه الإسرائيلات؛ ولذلك قال "ابن كثير" في تفسيره: " فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال"

ومن ثم ما روى عن الصحابة، في هذه هو مدسوس عليهم. ولا يجب أن لا ننسى، في وسط هذه الوهميات من القصص حكمة الله تعالى من الآية الكريمة، بأن كيد الشيطان لا يتصف إلاَّ بالضعف، وأن الساحر لا يستطيع أن يؤثر بسحره إلاّ بشيء قد كتبه الله تعالى؛ ومن ثم يجب توجيه القلوب والعقول والنفوس لله تعالى الواحد الأحد، والتوكل عليه، وذكره، والاعتصام بحوله وقوته.

ولنعلم بعلم اليقين كما في الآية الكريمة: **(وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [2] .

فإن الذى يريد نفعًا من السحر والسحرة، ويستبدل كتاب الله تعالى، ماله في الآخرة من نصيب. وللأسف الشديد كما قيل، لا يزال للسحر سوقه، في "بابل" بالذات، فضلاً عن بقية بلاد "العراق"، وإن بابل قبلة للسحرة، من الهنود... وغيرها، يأتون إليها، ويطوفون ببئر فيها، قيل أن فيه(من الخرافات الإسرائيلية) هاروت وماروت؛ ذلك ليتعلموا السحر، كما يتوهمون.

ولذلك ذكر أن الإمام مالك، بلغه أن "عمر بن الخطاب" أراد الخروج إلى العراق، فقيل: " لا تخرج يا أمير، فإن بها تسعة أعشار السحر والشر"[3].

([1]) تابع روح المعانى: الإمام الالوسى: ط1 دار الطباعة المنيرية: ج1 : ص340

([2]) البقرة 102.

([3]) تابع معجم البلدان: ج1: ص309،" ففيها روايات كثيرة من حكايات وأساطير فوق الخيال".

المبحث الثالث

السحر عند المصريين.. ومواجهة موسى عليه السلام

تمهيد:

أرسل الله (سبحانه وتعالى) موسى (عليه السلام)، إلى فرعون وملئه، كما أرسله (سبحانه وتعالى) إلى بنى إسرائيل، ولقد أرسل معه تعالى آيات بينات، تدل على صدقه، من جنس ما كانوا يعتقدون، والغالب على حياتهم.

مما لا شك فيه أبدًا عند العلماء، وعوام الناس أن من الأمم التى اشتهرت، بعلوم السحر في التاريخ: القبط في مصر:

أولاً:- بدلالة القرآن الكريم ــ في مواجهة موسى عليه السلام والسحرة، قال تعالى: **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** [1]

ثانيًا:- دلالة المخطوطات المصرية القديمة، التى وجدت على ورق البردي، وبقايا لآثارهم أن السحر كان له في مصر، الاعتبار الأعلى عند جميع الطوائف، حتى رتبت له رسوم، وطقوس، وجعلت له وظائف يقوم بها رجال الدين، الذين هم الكهنة، كذلك كانوا يتلون العزائم الشركية، ويخلطون في العلاج بين الوصفات الطبية ، وبين الرقى والتعاويذ الشركية. [2]

صورة موجزة لحقيقة السحر عند قدماء المصريين:

لقد اصطبغت الحياة اليومية عند قدماء المصريين بالأعمال السحرية، وبالرقى والتعاويذ الشركية فقد كان للسحرة المصريين معادلات جبرية، ومجاميع حسابية وفلكية، ورموز، وكلمات عويصة يستعملونها كلما عمدوا إلى السحر.

وقيل: "أن الكاهن قبل قيامه بأعماله السحرية، ينزوى في صومعته، لمدة تسعه أيام ، يقوم خلالها بتناول طعامًا خاصًا، ويقوم برياضة دينية عميقة، حتى إذا ما انتهت الأيام التسعة المفروضة، غسل فمه بالنترون، ورسم باللون الأخضر صورة ريشة صغيرة على لسانه، ثم يرسم دائرة كبيرة بلون اليوم، الذى يبدأ فيه السحر، ويرسم حولها من الداخل، والخارج العلامات، والرموز السحرية، ثم يبدأ عمله". [3]

([1]) سورة الأعراف: آيه 116.

([2])دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدى: ط دار المعرفه للطباعة (بيروت) (الثانية) 1971م : ج5 : ص64 (بتصرف)

([3]) تابع بتفصيل ذلك: السحر: محمد محمد جعفر: ط1 الأنجلو المصرية 1958م : ص19 (بتصرف)

وقيل: "أنه كان يمارس السحر عند تحضير الموتى، فإجراءات التحنيط، والدفن كانت متصلة، عندهم اتصالاً وثيقًا بالسحر، فكل عملية من التحنيط، كانت لها من الرقى والتعاويذ، والعبارات السحرية الخاصة،التى لا يمكن بدونها أن تتم عملية التحنيط إلاّ بها.

وإن أكثر نصوص الأهرامات المكتوبة باللغة الهيروغليفية، وهى أقدم صفحة من صفحات الفكر الإنسانى عثر عليها الإنسان حتى اليوم، تحوى أثارًا واضحة من السحر، بل إن بعض علماء الآثار عدّها،مجرد مجموعة من التعاويذ، والرموز السحرية.

وقد أكد الباحثون أن المناظر، والرسوم المنقوشة على جدران قبور قدماء المصريين، قد نقشت بقصد سحرى للحياة الآخرة في زعمهم، وهكذا كانت حياة المصرى القديم مليئة بالعمل السحرى، فلم يكن يحضر طعامه أو يتهيئا للنوم، إلاَّ بعدَ تلاوة بعض التعاويذ والصبغ السحرية الخاصة.

حتى أنه ذكر أن أى عملية، من العمليات الصناعية أو الكيماوية، لم يكن تتم إلاَّ بمصاحبة بعض الصيغ الدينية والعبارات السحرية، والتى كانت في زعمهم أساسية لنجاح هذه العمليات[1].

ذلك إلى أن بلغ السحرة في مصر القديمة، المبلغ الأعظم، بالقياس لما كان عليه الأمم الأخرى من اليونانين والرومانين، وما كانوا عليه في بابل، وغيرهم؛ ومن ثم كانت الأمم الأخرى ترى في مصر، كان أرقى وأعمق وأعظم من سِحرِ البلاد الشرقية.

مواجهة موسى (عليه السلام) للسحرة:

فقد أخبرنا الله تعالى عن آياته، فى معجزته لموسى (عليه السلام)، والتى كانت آيات عظيمة،لأقوى سحرة في أعظم سحر لهم؛ ومن ثم كان أول من آمن بموسى كرسول أرسله الله تعالى هم السحرة، يوضح ذلك التالى :

قال الله تعالى: **(فَأَلقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعبانٌ مُبينٌ)**[2] ، لما رأى فرعون، هذه الآية الكبرى التي تحولت لثعبان، وهو حقيقة وليس بسحر، أراد بمعارضتها، بأعمال أقوى السحرة، فجمعهم من أنحاء مملكته، قال تعالى: **(وَلَقَد أَرَيناهُ آياتِنا كُلَّها فَكَذَّبَ وَأَبى قالَ أَجِئتَنا لِتُخرِجَنا مِن أَرضِنا بِسِحرِكَ يا موسى فَلَنَأتِيَنَّكَ بِسِحرٍ مِثلِهِ فَاجعَل بَينَنا وَبَينَكَ مَوعِدًا لا نُخلِفُهُ نَحنُ وَلا أَنتَ مَكانًا سُوًى قالَ مَوعِدُكُم يَومُ الزّينَةِ وَأَن يُحشَرَ النّاسُ ضُحًى فَتَوَلّى فِرعَونُ فَجَمَعَ كَيدَهُ ثُمَّ أَتى)** [3] فجمع السحرة في اليوم المشهود، وجمع الناس من مختلف

([1]) تابع المرجع السابق: من19 : 29 (بتصرف)

([2])سورة الأعراف : آية 107.

([3])سورة طه : آية 56: 60.

البلاد، قال الله تعالى: **(وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ)** [1]

وقبل المواجهة نصحهم رسول الله موسى عليه السلام، بأن لا يقترفوا على الله كذبًا، وأسروا على مواصلة الكذب، قال تعالى: **(فَتَنازَعوا أَمرَهُم بَينَهُم وَأَسَرُّوا النَّجوى قالوا إِن هـذانِ لَساحِرانِ يُريدانِ أَن يُخرِجاكُم مِن أَرضِكُم بِسِحرِهِما وَيَذهَبا بِطَريقَتِكُمُ المُثلى فَأَجمِعوا كَيدَكُم ثُمَّ ائتوا صَفًّا وَقَد أَفلَحَ اليَومَ مَنِ استَعلى قالوا يا موسى إِمّا أَن تُلقِيَ وَإِمّا أَن نَكونَ أَوَّلَ مَن أَلقى)** [2]

وبدأت المواجهة، واختار موسى (عليه السلام) أن يبدأوا ليقينه بالله تعالى، الذى هو سبحانه يحق الحق بكلماته، ولو كره المجرمون.

وحدث سحرهم، حتى خيل للناس أن تلك الحبال، والعصي الملقاة على الأرض، أفاعي تسعى على الأرض، وألقى موسى عصاه فإذا هى حيَّه حقيقية، وابتلعت تلك الحبال، والعصى، وكان شيئًا مذهلاً، ومخيفًا للسحرة، جعلهم يخرون ساجدين لله تعالى، غير خائفين من أى عاقبه إلاّ الله تعالى .

ويقص ابن كثير، حيث صور هول هذا الموقف العظيم، فقد ذكر: أن موسى لمَّا ألقاها، صارت حيّة عظيمة وشكلاًه هائلاً مزعجًا، بحيث إن الناس، خافوا منها، وهربوا سراعًا، يبعدون من هذا الموقف العظيم.

فجعلت تتلقف واحدًا واحدًا، في سرعة مذهلة، وأما السحرة فأدركوا أن هذا ليس بسحر، ولا شعبذة ولا بهتان، إلاّ الحق، ولا يقدر عليه إلاّ الله سبحانه وتعالى، وقد أزاح هذا الهول العظيم عن قلوبهم قسوتها وظلمتها، وأنابوا إلى ربهم وخروا سجدًا قال تعالى: **(فَأُلقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قالوا آمَنّا بِرَبِّ هارونَ وَموسى)** [3]

قال الله تعالى: **(فَأَوجَسَ في نَفسِهِ خيفَةً موسى)** [4]

وقال الله تعالى : **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** [5]

([1]) سورة الشعراء آية 39: 43.

([2]) سورة طه : آية :62:65

([3]) تابع البداية والنهاية :ج1 ص256 (بتصرف)

([4]) طه : آية 67.

([5]) الأعراف : آية 116

وقال الله تعالى: **(فَأَوجَسَ في نَفسِهِ خيفَةً موسى قُلنا لا تَخَف إِنَّكَ أَنتَ الأَعلى وَأَلقِ ما في يَمينِكَ تَلقَف ما صَنَعوا إِنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى فَأُلقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قالوا آمَنّا بِرَبِّ هارونَ وَموسى قالَ آمَنتُم لَهُ قَبلَ أَن آذَنَ لَكُم إِنَّهُ لَكَبيرُكُمُ الَّذي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيدِيَكُم وَأَرجُلَكُم مِن خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُم في جُذوعِ النَّخلِ وَلَتَعلَمُنَّ أَيُّنا أَشَدُّ عَذابًا وَأَبقى)** [1]

وقال الله تعالى: **(وَأَوحَينا إِلى موسى أَن أَلقِ عَصاكَ فَإِذا هِيَ تَلقَفُ ما يَأفِكونَ فَوَقَعَ الحَقُّ وَبَطَلَ ما كانوا يَعمَلونَ فَغُلِبوا هُنالِكَ وَانقَلَبوا صاغِرينَ وَأُلقِيَ السَّحَرَةُ ساجِدينَ قالوا آمَنّا بِرَبِّ العالَمينَ رَبِّ موسى وَهارونَ)**[2]

وفي الفصل التالى سوف يتبين إن شاء الله تعالى بتفصيل حقيقة هذا النوع من السحر.

* * * * * *

(1)طه: آية 68-71.

(2)الأعراف : آية 117:122.

المبحث الرابع
حقيقة السحر عند اليهود والنصارى

تمهيد:

في الواقع أن اليهود والنصارى، فاقتا الأمم الأخرى، توسعًا في السحر، والتنجيم. لتحريفهم التوراة،والإنجيل، ولركونهم إلى الحياة الدنيا.

فمن حكمة الله سبحانه وتعالى الحكيم، أن يرسل موسى ومعه هارون (عليهما السلام) في هذا الزمن بالذات إلى بنى إسرائيل، موسى (عليه السلام) بمعجزته العظيمة، التى من جنس ضلالهم، كما كانت لفرعون خاصة أيضا، وبدليل ما حدث منهم بعد ذلك، عند رحيلهم من مصر، من عصيان وفسق، وخروجهم عن طاعة موسى وهارون (عليهما السلام): وإن قصة السامرى الذى صنع العجل من ذهب المصريين، لخير شاهد، على أن أكثرهم لم يتخلصوا من هذا الطريق الشيطانى.

قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ)**[1] وقال الله تعالى: **(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ)** [2]

من الغريب عن الفطرة الإنسانية، كما هو من الطبيعى عندهم التناقض البينِّ، بين بقايا قليلة من كلمات، ما زالت لم تحرف، يحتفظون بها، وبين التحريف الواضح في التلمود، ونهج رجال الدين عندهم:

ففي التوراة في " سفر الخروج"، جاء فيها "لا تدع ساحرة تعيش"[3] فقد شرعت التوراه، بقتل السحرة.

كذلك على رغم من تحريفهم المعهود، في النص التالى :فإن مضمونه يحرم السحر، فالمواجهة كما في القرآن الكريم، كانت بين موسى والسحرة، لأنه كليم الله تعالى، وقد أرسل إلى بنى إسرائيل خاصة، بهذه المعجزة العظيمة؛ حيث جاء في سفر الخروج أيضًا: "طرح هارون عصاه أمام فرعون، وأمام عبيده، فصارت ثعباناً فدعا فرعون أيضًا الحكماء والسحرة، ففعل عرافوا مصر أيضًا بسحرهم كذلك، طرح كل واحد عصاه فصارت العصى ثعابين، ولكن عصاها هارون ابتلعت عصيهم"[4]

فعلى الرغم من تحريفهم البينِّ في هذا النص، إلاَّ أنه أيضًا يدل، على أن السحر من الأعمال المرفوضة، في شرَعهم قبل التحريف. وعلى الجانب الآخر، التحريف البينِّ في "التلمود"، الذى يعد علوم

([1]) البقرة:آية 92.

([2])البقر: آية88.

([3])سفر الخروج: الإصحاح الثانى والعشرون :فقرة 18.

([4]) تابع سفر الخروج: الإصحاح السابع: فقرة 10:12

السحر، من العلوم التى لها قدرها المعرفي، والدراسى عند رجال الدين، وأهل الرأى والحكمة، حيث يزعمون أن الذى يملك ملكة هذا العلم، والعمل به من أذكى الناس وأحسنهم.

ولذلك فإن التلمود بالذات، فيه من الطلسمات السحرية، والخرافات الكثيرة، المرتبطة بالسحر، غير ما يحوى من قصص عن الحاخامات السحرة.

ومن ثم فإن من رسوخ العقيدة عندهم (كما يزعمون) أن علم التنجيم، علم جليل، لأنه يتحكم في حياة الإنسان، ويحولها إما من الضار إلى النافع من الثراء وغيره، وإما من النافع إلى الضار على مفهومهم.

قال **الحاخام شانيتا:** " إن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيًا وتأثيرها يجعله ثريًا، وبنوا إسرائيل تحت تأثير النجوم. ولم يقف كفرهم وتحريفهم للتواره عند هذا الحد، بل وصل بهم الأمر أن قالوا عن الأنبياء والرسل،أنهم كان يعملون من أنواع السحر (كالعرافة)، وقد كانوا يعلمونها كما زعموا عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، أنه كان قد علق لأبنائه حول عنقه، عقدًا فيه قوة السحر، يشفي كل من رأه. [1]

هذا بجانب أنهم قالوا عن سليمان (عليه السلام) أنه كان حكيمًا، ساحراً، وليس نبيًا، سخرت له الجن والشياطين والريح، والطير، بسبب سحرة.

وأترك الإمام تيمية يوضح ذلك، حيث رأى: أن الكثير من اليهود، والنصارى قالوا عن سليمان(عليه السلام)،أنه أسقطه الله تعالى عن درجة النبوة، وأنه كان حكيمًا وساحرًا سحر الجن. فلما مات نبي الله تعالى، سليمان (عليه السلام)، عمدت الشياطين، إلى أنواع من الشرك، فكتبوها، ووضعوها تحت كرسيه، وقالوا كان سليمان يسحر الجن، بهذا، فصار هذا فتنة لهم، فصاروا طائفين: طائفة علمت أن هذا من الشرك،والسحر،وأنه لا يجوز، فطعنت فيه (عليه السلام).

والأخرى: قالت سليمان نبى، وأنه قد سخر الجن، وبهذا دلَّ على أن هذا جائز. ومن ثم صاروا يقولون، ويكتبون من الأقوال، التى فيها الشرك والتعزيم، والأقسام بالشرك والشياطين، وما تحبه وتختاره،فيساعدونهم، لأجل ذلك، على بعض مطالب الإنس، إما إخباراً بأمور غائبة، يخلطون فيها كذبًا.

وإما تصرف في بعض الناس، كما يقتل الرجل، أو يمرض بالسحر،.... ونحو ذلك مما فيه إعانة منهم للإنس. [2]

([1]) تابع التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام خان: ط دار النفائس (بيروت) الثانية 1972م : ص 74:81 (بتصرف)

([2]) الجواب الصحيح: ابن تيمية: ج2 : 388 (بتصرف).

واستمروا، بل وازدادوا توسعًا، في هذا الكفر، وأخذوا أيضًا من طرق غيرهم، ذلك إلى أن كان لهم السبق الأول في هذا الفسق، ومن ثم كانت لهم الشهرة، الواسعة في شبه الجزيرة العربية، في قوة سحرهم،وفسادهم، وانتشاره بين الناس.

والحق أنه قد منّى الله تعالى سليمان (عليه السلام)، كما أخبرنا القرآن الكريم، أنه طلب من الله تعالى، أن يهبه ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده، لأحد قال الله تعالى: **(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)**[1] فقال تعالى: **(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ هَـذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)**[2] وقد حدثنا الله تعالى عن ملك سليمان، عن تسخير الريح له والجن والشياطين، وعلمه لمنطق الطير، ونزلت سورة عظيمة تتحدث عن ملك سليمان، وهى "سورة النمل"، غير سورة سبأ، والكثير من الآيات الكريمة، التى تحدثت عن فضل الله تعالى عليه، وأنه نعم العبد لله تعالى، في علمه وعمله، فقد كان (عليه السلام) نبيًا، وملكًا، ولم يكن ساحرًا، قال تعالى بالإضافة لما سبق: قوله تعالى: **(وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)**[3] ولذلك لما فهم فقه النملة طلب من ربه سبحانه: **(قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَـذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)**[4] وإن هذا ليس بغريب في افتراء اليهود على الأنبياء، وخاصة هذا النبي العظيم، الذى وصل بهم الأمر أن رموه بعبادة الأصنام، فمن قولهم في سفر "الملوك الأول" :" .... وعمل سليمان الشر في عينى الرب، ولم يتبع الرب تمامًا كداود أبيه.... فغضب الرب على سليمان؛ لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل".[5]

([1])ص : آيه 35

([2]) ص :آية 36:39

([3]) النمل: 16:19

([4])النمل: آيه40

([5])تابع تفصيل ذلك فى سفر الملوك الأول : الإصحاح الحادى عشر فقرة 4:9

ومن الجدير بالذكر: أنه لمَّا استشرى السحر حياة اليهود كلها، تناول القرآن الكريم شرح حقيقة ما هم عليه من كفر وفساد، قال الله سبحانه وتعالى: **(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّـهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[1] فقد نبذوا كتاب الله تعالى، والكثير منهم لم يكلفوا أنفسهم حتى بالتفكير والنظر فيه، بل نبذوه وراء ظهورهم، ولم يتبعوا إلاَّ الشياطين؛ ومن ثم برأ الله تعالى عبده ونبيه سليمان (عليه السلام)؛ ولكى لا يعلقوا عليه كفرهم، وأعمالهم السحرية، وعلى الرغم من تفصيل القرآن الكريم لحقيقة حياة مصطفاه وتبرئته، إلاَّ أن السحر بقى متلبسًا بهذا النبى الكريم في شريعتهم المحرفة، ومن يعرف حياة رجال الدين، عند اليهود والنصارى، يعلم أنها على الأكثر، تعيش على هذا النهج الشيطانى .

ولذلك فإن أسس العبادة عند رجال الدين عندهم هو تعلم هذه الطرق السحرية، والإعتكاف لإتقان العمل بها.

وكما سيأتى أنهم سحروا النبى ﷺ، وقد استمروا "بخيبر" زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فقيل أنهم سحروا "عبد الله بن عمر".

فقد أخرج الإمام أحمد عن ابن عمر رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ، دفع خيبر إلى أهلها بالشطر،فلم تزل حياة رسول الله ﷺ كلها وحياة أبى بكر، وحياة عمر، حتى بعثنى عمر، لأقاسمهم فسحرونى، فتكوعت يدى فانتزعها عمر منهم). [2]

([1])البقرة: آيه من 102،101.

([2])سيأتى تفصيل ذلك فى المبحث الخامس من الفصل الثانى، والفصل الثالث.

المبحث الخامس
(المسلمون الأوائل...ومواجهة السحرة)

تمهيد:

إن الإسلام عندما ظهر عمل على تطهير المجتمعات، من السحرة، والكهان والعرافيين، فلم يكتفِ بتكفير السحرة، بل ذكر، كما جاء في صحيح البخاري، ومسلم، أن السحر من الموبقات، المهلكات لصاحبها ولغيره، فمن يتبعها، ويصدق بها. قالﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات) قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال : (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف ،وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[1]

ولذلك مع رسوخ الإيمان، وانتشار الأمن، والعدل بين الناس، حينذاك، يكاد السحر قد انفض من البلاد الإسلامية، حيث كان المسلمون ينظرون إليه نظرة ازدراء، وكره، واحتقار مع نور الإسلام، المنتشر في البلاد؛ ومن ثم فإذا سمعوا بحالات فردية شاذة، كانوا لها بالمرصاد.

السحر عند العرب قبل الإسلام:

رأى المؤرخون أن صناعة السحر عند العرب قبل الإسلام، لم يكن لها الاهتمام، كما كان عند الأمم السابقة، لكن من المعروف، والمشهور بينهم الكهانة، والعرافة، فكان منهم كهنة كثيرة (كما ورد في الأخبار) يدعون أنهم يعرفون كثيراً من الأحداث، فمنهم من يزعم، أنه له رئيسًا من الجن، ويلقى إليه بالأخبار، ومنهم من يدعى استدراك ذلك بفهم أعطيه، ومنهم من يسمى عرافًا، وهو من يزعم، معرفة السارق، ومعرفة الضالة؛ولذلك كانوا يسمون المنجم كاهناً. [2]

وكانت الكهانة قبل بعثة الرسول ﷺ، فلما بعث ﷺ حرست السماء بالشهب، ومنعت الجن والشياطين من استراق السمع، وإلقائه إلى الكهنة، ولذلك بطل هذا العلم، وأزهق الله تعالى أباطيل الكهان بالقرآن الكريم،الذى فرق بين الحق والباطل[3].

ومن الأنواع لديهم أيضًا، النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين، مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر، بكل منها ومفارقته. وأن في تلك سعوداً، ونحوسًا، وتأليفًا، وتفريقًا، وغير ذلك[4]

([1]) صحيح البخاري: كتاب الوصايا: باب قول الله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)

([2]) تابع شرح النووى على صحيح مسلم: ج5 : ص 17 (بتصرف).

([3]) تابع تفصيل ذلك فى: المنهاج (شرح صحيح مسلم): ج10 : ص190) (بتصرف).

([4]) تابع تفصيل ذلك: معارج القبول: الشيخ حافظ حكمة : ط1 الرئاسة العامة لإدارات البحوث (السعودية).

وقفة واجبة الذكر:

جاء في شرح النووى أن منازل القمر، كانت تسميها العرب في الجاهلية "بالأنواء"، وهى ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع لها، في أزمنة السنة كلها، يسقط في كل ثلاثة عشر ليله، منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، فكان أهل الجاهلية، إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما. [1]

ولذلك نجد أن القرآن العظيم، فيه آيات كثيرة تحذر هؤلاء، من شركهم وكفرهم هذا؛ وليعلموا ما فى السماء من آيات، وليتفكروا فى خلقه وإبداعه، سبحانه وتعالى، منها قوله تعالى:

قال الله تعالى: **(إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا)**[2]

وقال الله تعالى: **(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّـهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرضَ في سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرشِ يُغشِي اللَّيلَ النَّهارَ يَطلُبُهُ حَثيثًا وَالشَّمسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمرِهِ أَلا لَهُ الخَلقُ وَالأَمرُ تَبارَكَ اللَّـهُ رَبُّ العالَمينَ)**[3] وقال الله تعالى: **(إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ)** [4] وقال الله تعالى: **(وَهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ النُّجومَ لِتَهتَدوا بِها في ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحرِ قَد فَصَّلنَا الآياتِ لِقَومٍ يَعلَمونَ)**[5]

وكما سبق في توضيح "الكهانة" الحديث عن حكمة الله تعالى من خلق النجوم، وما في السماء من آيات : منها أنها زينة للسماء وعلامات ليهتدى بها،كما جعلها رجوماً للشياطين وقال الله تعالى: **(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّـهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)** [6]

الحذر من السحر عند ازدهار الإسلام:

كما سبق لقد كفر سيدنا محمد(ﷺ) من يصدق كاهنًا، أو عرافًا. من ثم نشأ المسلمون الأوائل على الحذر الشديد، من وجود هؤلاء الكفرة، بل من التناقض، والتضاد الشديد، أن يكون المسلم صحيح

([1]) تابع شرح النووى على مسلم :ج2 : ص61 (تصرف)

([2]) سورة الفرقان: آية 66.

([3]) سورة الأعراف: آية 54.

([4]) سورة الصافات آية 6:10.

([5]) سورة الأنعام:آية 97.

([6])سورة النمل: آية65.

الإسلام،والإيمان، ويكون له في هذا الكفر نية لعمله ولذلك كما قيل أن صحابة رسول الله(ﷺ)، أمرت بقتل كل من عرفوا، أنه ما زال على جاهليته يمارس السحر، فقد روى أن عمر بن الخطاب(ﷺ) أمر ولاته في شتى أنحاء الدولة الإسلامية بقتل كل ساحر، وساحرة، وروى أنه قد نفذ بعض ولاته ذلك. ولذلك كان الحذر الشديد من ظهورهم بين نور الحق الساطع بالإيمان، في البلاد الإسلامية. لكن لمَّا كثرت الفتوحات، انتشر الإسلام في بلاد الأعاجم، وانقض العهد الأول، وضعفت الحالة الإيمانية بين البعض من المسلمين، ظهر بينهم من أخذ عن الأعاجم العلوم السحرية، ولم يكتفِ بذلك، بل كانت لهم مؤلفات، يتناولها ضعاف النفوس.

وكذلك فإن كثرة الترجمة عن الفلسفة اليونانية، والإختلاط بين المسلمين، وبين غيرهم من أهل الكتاب،أدى إلى ظهور هؤلاء، وكثرة عددهم في البلاد الإسلامية.

ويقص ابن خلدون ذلك(رحمه الله):".....ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة،فتصفح كتب القوم، واستخرج الصناعة، وغاص في زبدتها واستخرجها، ووضع فيها عدة التأليف، وأكثر من الكلام فيها وفي صناعة السيمياء، لأنها من توابعها، ولأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى،إنما تكون بالقوة النفسية، لا بالصناعة العملية، فهو من قبيل السحر. ثم جاء مسلمة بن محمد المجريطى، إمام الأندلس، في التعاليم والسحريات، فلخص جميع تلك الكتب، وهذبها، وجمع طرقها في كتابه الذى سماه(غاية الحكيم)...." [1]

وهكذا ضعفت الحالة الإيمانية، في البلاد الإسلامية، بالقياس لمَّا كان عليه الرعيل الأول؛ **ولذلك قال ابن تيمية:**

" أنه لمَّا ضعفت الهمم، وحاد الناس عن السنة، تعلقوا بالبدع من أجل نيل الكرامات، وجهلوا ما للسحرة والكهان، وما يفعلوا الشياطين بهم من عجائب. [2]

وقد قصد الإمام بالمنتسبة إلى الصوفية، الذين يفعلون الفواحش، والمنكرات، ويرفعون التكليف عن أنفسهم، ويرونه عامة الناس أنهم أولياء الله تعالى، وهبهم هذه الكرامات، بلا عمل بفضل الله تعالى.

وهؤلاء ومن هم على نهجهم تتمثل لهم الشياطين، وتتصور، ويفعلون أفعال عجيبة، وغريبة، والعامة من الناس ينظرون لهم أنهم كرامات لهم.

([1])تابع مقدمة ابن خلدون: ص504.

([2])تابع مجموع الفتاوى: ابن تيمية: ج13: ص91(بتصرف).

كذلك ذكر "ابن خلدون" أن بالمغرب أيضًا: صنفًا من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية، يعرفون بالبعاجين، وقد ذكر أنه لقي منهم جماعة، وشاهد من أفعالهم، وأخبروه أن لهم وجهة، ورياضة خاصة،بدعوات كفرية، وإشراك لروحانية الجن، والكواكب. [1]

وقد خاض بعض المتصوفة، في نوع من السحر، وهو علم أسرار الحروف، وهذا النوع، وهو المسمى بالسيمياء، فقد نقلوه من الطلسمات السحرية، فاستعمل هذا الاستعمال الخاص.

وأن هذا العلم كما تحدث ابن خلدون، حدث في الملة، بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر. ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد، وترتيبه، وزعموا أن الكمال الأسمائى، مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهى سارية في الأكوان، على هذا النظام والأكوان، من لدن الإبداع الأول، تنتقل في طوره وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء.

لا يوقف على موضوعه، ولا تحاط بالعدد مسائله، تعددت فيه المؤلفات. وحاصله عندهم، وثمرته: تصرف النفوس الربانية، في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى، والكلمات الإلهية، الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان. [2]

وهكذا يتبين أنه لما ضعفت عزائم الحكام في البلاد الإسلامية، وانتشرت الأمية الدينية، والجهل بالشرع الحكيم، ظهر هؤلاء السحرة، وانتشرت آثارهم الفاسدة، بين المسلمين، وأخذوا من مصطلحاتهم،وحروفهم المنتسبة إلى الصوفية، وخلطوها بالحق من أسماء الله الحسنى، وبعض من الآيات القرآنية، وعرفوها على أنها علوم لدّنية من الله تعالى، تسخر لهم الأشياء بسببها.

* * * * *

([1])تابع تفصيل ذلك فى المقدمة: ابن خلدون: ص924.

([2])المرجع السابق:93:936(بتصرف).

المبحث السادس
وقفات عن السحر في العصر الحديث

بين الشرق.... الغرب :

إن العصور الحديثة للأسف الشديد، أدهّى وأمرّ، مما كان في العهود القديمة، على الرغم من التقدم العلمي، والاكتشافات الحديثة، وتغير الحياة، واختلافها بالقياس بالعصور القديمة.

إلاَّ أن الناس فيه على الأكثر صرفتهم هذه العلوم إلى زخرف الحياة الدنيا، وشهواتها ، والإنشغال بها،وبمشاكلها بالحرص والطمع الذي ليس له حدود.

لكن من الناس قد أدت بهم هذه العلوم، والإكتشافات إلى رسوخ العقيدة، والإيمان، والارتفاع عن الأرض وأسبابها، والرجوع إلى الخالق عز وجل، في قدرته، وإبداعه في مخلوقاته، في أرضه وسمائه،فازدادوا تسبيحًا وذكرًا وعلمًا وعملاً؛ ومن ثم نجد من العلوم الجليلة، التى كان لها السبق في هذا العصر" الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.قال الله تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)**[1]

الوقفة الأولى : السحر في بعض من بلاد الغرب :

1- ورد في دائرة معارف القرن العشرين : عندما احتل الأسبانيون أمريكا ، وجدوا للسحر مكانة كبيرة ورأوا السحرة منقطعين، الفيافي، يأوون إلى الغيران صائمين، متقشفين، محافظين على رسوم محددة، من الرياضة النفسية، يزعمون أنها أوصلتهم، إلى مناجاة الأرواح والتسلط، على نواميس الطبيعة.

وخاصة في أمريكا الشمالية ، فقد رأوا أن لهم إطلاعًا واسعًا. على خواص النباتات، فكانوا يصفونها للأمراض المختلفة، وكان يزعمون أنهم بالتأثير على صورة الشخص ، أو تمثاله ينتقل ذلك التأثير، إلى صاحب الصورة أو التمثال، فيظهره أو ينفعه ، كما يريد الساحر. [2]

قد يظن القارئ أن هذا الدجل، كان مقصورًا، في هذه الفترة الزمنية ، وبعد ذلك تغيرت الأحوال بتطور العلم.

في الواقع ... من الجائز أن تغيرت طرقهم فيها، ولكن نفس الاعتقاد لم يتغير وخاصة، عندما تضيق الحياة، وتنفذ الأسباب لديهم، فطالما أن القلوب فارغة من العقيدة الراسخة، والصحيحة؛ لا يسكنها إلاَّ الباطل ولذلك فإن أكثر شعوب العالم تحضرًا، تجرى فيها طقوس السحر، على نحو واسع، وبطرق مختلفة، تصل إلى كل الجرائم ، والكبائر المحرمة في كل الشرائع الوضعية، فضلاً عن الإسلامية.

([1]) سورة فصلت:آية 53 .

([2]) تابع دائرة معارف القرن العشرين: ج5 : ص4 (بتصرف).

ومن المشاهد والمعروف: لنا جميعًا في العالم الغربي، والعربى والإسلامي، الأثر الوثني من علم التنجيم، والكهانة، وللأسف الكثير يعتادون عليه، وهم لا يعلمون أن بذلك يختلج قلوبهم الوثنية، والإشراك بالله تعالى . ويتضح ذلك في ارتباط حياة الناس، بالأبراج، والنجوم والكواكب، وصفاتها، وأحوالها.

حيث إنهم يفسرون طبائع الناس، وميولهم على حسب الأبراج والنجوم، والكواكب ، ومن الكلمات المعتادة بين الناس (هذا نجمة خفيف)، والكثير من التعبيرات اللفظية، التى لا تعنى إلاَّ الشرك بالله تعالى.

ومن ثم يقولون أيضًا هذا طبعة نارى ، وهذا "ترابي" وهكذا على حسب حالة "الكوكب" أو "النجم"، أو البرج كما يعتقدون.

ومن الأغرب والأعجب أننا نرى ذلك مشهورًا بين الناس، على مختلف ثقافاتهم، وعلمهم، لا يخص طائفة دون أخرى، وعلى مرأى ومسمع من الحكماء، والدعاة، ومن الأدهّى والأمّر، أنهم يطلقون على هؤلاء السحرة أو من تقمص بهم " بعلماء الفلك"، ولهم برامج كثيرة في مختلف القنوات الفضائية، بالإضافة لتخصيص يوميات لهم في الصحف، والمجلات، من حظك اليوم، وغير ذلك، ومن المحزن أن هذه الأحوال السيئة تزداد كل يوم عن الآخر مع الأمية الدينية والجهل، على رغم أن هؤلاء الناس ينظرون للماضى باحتقار بزعمهم أنه كان يتفشى فيه الجهل، والتأخر، ولا يعلمون أنهم في ازدياد من هذا الجهل والتأخر، وأن تغير الحياة في هذا العصر الحديث لا تعنى على الأكثر، في حياة الناس أنها صحيحة، ومستقيمة .

2- قيل أن عدد السحرة، والمشعوذين في فرنسا تجاوز ثلاثين ألفًا، ويتجاوز مجموع مبيعاتهم،السنوية: في الثلاثة مليارات فرنك، مع أنه يستحيل معرفة الأرقام بدقة، لأن المادة 405، من القانون الجزائي حظرت السحرة؛ إذا نصت على عقوبات بالسجن، من سنة إلى خمسة سنوات، لمن يمارس السحر،ولذلك على الأكثر يمارسون هذا العمل سرًا، أو تحت جمعيات، وأسماء مستعارة ، وخاصة إذا كانت خيرية دون أصول دينية صحيحة، والمشهورة والمعروف بين الناس" جمعيات عبدة الشيطان"، التى بعضها مستعار، بأسماء أخرى،وبعضها قد أعلن عن هويته.

وانطلاقًا من هذه الممارسات تنظم المؤتمرات، والندوات والحلقات الدراسية، لتعرض هذه الجمعيات،عالمها الشيطاني، بغايات كاذبة، وموضوعات تعرض فيها بدهاء فكرها الشيطانى، وإن الإعلام له الدور الأكبر في شهرتها بين العامة من الناس.

3- قيل في ألمانيا أنها تحوى 80 ألف ساحرة، حتى أن شعبها اعتقد أن (رومنيغة) أحد أبطال كرة القدم الوطنية، كان ضحية ساحر فرنسي.

والقصص كثير، وطويل عن أحوال السحرة في المجتمعات الغربية، لا يسع بحثي لعرض حتى بعضها. على أي حال يبدو أن اللجوء إلى التنجيم ، والإيمان بالقوى الخفية، متأصلة وممتدة الجذور في تاريخ الغرب.

ويعتبرونها البعض أنه أحد الأجوبة على انهيار الروحانية، وعلى عقلانية علمية مفرطة، عاجزة عن إعطاء معنى للحياة البشرية.

فالذى كانت الكنيسة تسميه استحواذاً فيما مضى، يسميه الطب اليوم (هستيريا)، وهى التى تُبقى أعمال الاحتيال التى لا تحصى منتشرة متكاثرة، وقد ذكر أن صاحبة فندق في فرنسا تسمى (نانسى) أنها دفعت 65 ألف فرنك فرنسي ثمن تعويذة مصنوعة من ورق المراحيض.

4- فاليوم لم تعد الكنيسة، ولا الشرطة في هذه المجتمعات، هى التى تقلق السحرة، بعد الحرية المطلقة لهم، في الإعلان عن وجودهم، وشهرتهم بين الناس.

إنما الذى يقلقهم، ويخوفهم هو مصلحة الضرائب، من كثرة نهبهم أموال الناس، التى ما تكون غير معروفة وخفية.

ومن ثم قيل: وإلى جانب هؤلاء المبصرين أي الرسميين، ترى اليوم في "باريس" و" ليون" و"مارسيليا" و"لوهاتر" وغيرها من المدن، وحتى القرى الصغيرة النائية ، في الغرب أنواع جديدة من "السحرة" والوسطاء،الذين يدعون القيام بالمعجزات، كالعثور على شخص مفقود، أو إعادة المحبوب، أو جلب الثراء أو التنبؤ ... وحتى الكتابة "الشر" للخصوم، والأعداء، والشفاء من الأمراض الخطيرة، لقاء هذه الخدمات،يتقاضى هؤلاء السحرة، والمشعوذون من زبائنهم مبالغ مالية، تبلغ في بعض الأحيان، حدودًا خيالية ثمناً لخدمات خيالية، لا تمت لها الواقع بصلة.

ونجد إحصائيات الشرطة الفرنسية بأكثر من ستين ألف شخص، من عرف منهم فقط، ففيهم من يملك مكاتب، أو عيادات خاصة معروفة ، ومنهم من يجلب الزبائن عبر إعلانات مبوبة، في بعض الصحف والمجلات، والقنوات الفضائية (كما سبق) بجانب التخصص بينهم، منهم من يعلن عن نفسه، بسوء الطالع والنحس، وبعضهم في الرقي والتعاويذ، والآخر في الكهانة..... هكذا. والأدهى: أن الشرطة تقف عاجزة، عن إثبات تهمة الإحتيال على هؤلاء.

في جزر (هايتى) و(البرازيل) ينشر من السحر، يسمى (الفودو)، وهو نوع من أنواع السحر الأسود، أو السفلي، ويقصد فيه السحرة استخدام الأرواح لتحقيق أهدافهم، ومقاصدهم الشيطانية، ويزعمون أن الروح الشيطانية تستولي على جسد المرأة، التي تقوم بالرقص.

ويستخدم فيه كما قيل الدم، ومشية الموت ليجلبوا المرض والموت إلى الشخص، الذين يريدون أذيته،غير ما استحى ذكره فما يستخدمونه، لدرجة أن الذي يمارس هذا النوع، يصاب بنوع من الصرع، يعرفون بذلك أنه دخلت روح الشيطان، في جسده، وهو لا يشعر بجسده، سوى بشعور قوة تتجه لتفجير رأسه، ويبقى على هذه الحالة بضع ساعات ... إلى أن يتم ويحدث السحر الأسود.

ومن الضلال والكفر والظلم، الذي يصاحب هذه الديانة الكفرية، أن المرأة التى تقوم بهذه الرقصات،تتزوج عدد من الرجال، بقدر عدد من الخواتم التى كانت تلبسها، غير علاقات الزنا الأخرى.

وإن هذه الدول التى تدعى الحضارة، والعلوم الحديثة، والديمقراطية، فيما بينها في أيام الانتخابات،يلاحظ أن تلك الأيام نشاط لأعمال السحرة، والكهان، للتنبؤ بنجاح لمن يطمع في النجاح، على رغم من أحقية غيره في المنصب.

الوقفة الثانية: السحر في البلاد العربية والإسلامية :

للأسف الشديد، على الرغم من الدين الإسلامي، الذى يعم البلاد العربية، إلاَّ أن الأمر يزداد سوءًا،من وجود هؤلاء السحرة، والمشعوذين، في كل البلاد الإسلامية تقريبًا، وكل أمورهم وأفعالهم مشهورة، بين الناس،كذلك وطرق النصب والاحتيال على أموال الناس، وأعراضهم مختلفة، على حسب طلبات شيطانهم،فقيل أن هؤلاء يستخدمون في أداء طقوسهم السحرية، أمورًا كثيرة مثل الميدالية الملفوفة بخيط،بغرض صد أذى السحرة، والخرزة الزرقاء لجلب الحظ، والمحبة، أو الرزق، وكذلك ما يعملونه ويستخدمونه للتفريق بين الزوجين، غير ما يطلبونه من كفر و شرك، وذبح لغير الله تعالى.

وقد ذكرت جريدة في الكويت أن شبكة من المشعوذين تُسّوق هذه الأحجبة، والخزعبلات ، وأن الحجاب قد يبلغ أكثر من (1500) دينارًا، ذلك على حسب الأحوال والطلبات.

وقد سبق أن الأمر يزداد سوءًا، بين المسلمين، فبفضل التقدم في شبكة الإنترنت، أصبح لهم مواقع مشهورة، ومعروفة بين المسئولين، ووصل بهم الأمر أن لا يطلق عليهم، إلاَّ العلماء في علم الفلك،والمشايخ.[1]

ومما هو معلوم لدينا جميعًا، ما نسمعه، ونراه فى الوسائل الإعلامية المختلفة، من أعمالهم القبيحة. والمعلنة مع انتشار الفساد، وهيمنة الفكر المادى على الناس.

* * * * *

([1]) تابع تفصيل ذلك: عالم السحر والشعوذة: من ص 55: 68 (بتصرف) حيث قمت بتلخيص ما نقله من التالى:-

1- مجلة الحوادث الصادرة من لندن في عددها 1423 بتاريخ 84/2/10.

2- مجلة القبس في عددها (4774) بتاريخ 1985/8/26م، 1988م.

3- ملحق جريدة الأنباء الكويتية، بتاريخ 1988/6/22م.

الفصل الثالث
حقيقة السحر في الكتاب والسنة والوقاية الشرعية منه

مقدمه :

في الواقع ، ومن الجدير بالذكر أن السحر أمر خفي ، مبني على الخفاء ، والإبهام ؛ ولذلك من لم يعرف حقيقته لا يعرف حقيقة ضرر الساحر ، إلاّ ما يعرف منهما من أثر الإيذاء ، والضرر الواقع ، من تغيير القلوب ، والتفريق بين الأزواج ، والبعض من الأمراض ..وهكذا من أنواع الفساد.

ولذلك اختلف حول حقيقة السحر الفقهاء والعلماء والمحدثون.

فمنهم من ذهب أن له حقيقة ، وضرر واضح ، ومنهم من ذهب أنه تخييل ، وتمويه ، وضرب من الخفة ،والشعوذة، فأنكروا أن يكون له تأثير واقع كالمرض ، والتفريق ... وما إلي ذلك. ومن المهم الرجوع إلي حقيقته في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة ، حيث وردت كلمة " السحر" ومشتقاتها ما يقرب من ثلاث وستين آية كريمة .

مثل قوله تعالي: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [1]

وقوله تعالى: **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** [2]

وكذلك السنة النبوية الشريفة ، فقد وردت أحاديث كثيرة عن سيدنا رسول الله ﷺ ، تنذر الناس من السحر والسحرة، كذلك ما ورد عنه ﷺ ، في اصابته بالسحر؛ ولذلك من الجدير بالذكر أيضاً اختلف في حقيقة سحره ﷺ بين مؤيد ومعارض ، وأدلة كل منهما .

كذلك من المهم في هذا الفصل التحدث عن أهمية الرقية الشرعية، وحقيقة النشرة ، وكيفية الوقاية من هذا المرض الشديد، وعلي ذلك قمت بتقسيم هذا الفصل، يبين ذلك التالى:

([1]) سورة البقرة : آية 102

([2]) سورة الأعراف: آية 116

المبحث الأول

أنواع وصور تعلم السحر

تمهيد :

اختلف المسلمون ، وخاصة العلماء منهم حول حقيقة السحر ، فمنهم من أنكر وجوده أصلاً ، فاعتبره وهماً ، وتخييلاً لا حقيقة، ومنهم من قال السحر كان في العصور القديمة ، قبل التقدم العلمي ، والحضارة الحديثة ، أما الآن فقد رفضوا وجوده ، لا علي سبيل الوهم ، ولا الحقيقة.

والرأي الصحيح كما ذهب أهل السنة والجماعة : أن السحر ثابت ، وله حقيقة ، ومنه ما يكون تخييلا.

ومن ثم فلا عبرة برأي المعتزلة، الذي أنكرت وجوده كحقيقة (كما سبق)[1] إلا علي سبيل التخييل،حيث

[redacted]

والنميمة، ومنهم من وصل بهم الحد إلي تكفير من قال به، وجوز وجوده [2].

ولكن الإمام الشافعي والإمام ابن حنبل: قالا أن السحر له حقيقة ، وقد يموت المسحور، أو يتغير طبعه وعاداته. ورأت الحنفية إن وصل إلي بدنه كالدخان، ونحوه جاز أن يؤثر، وإلاّ فلا [3]

ولذلك فالصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه كذلك رأى الإمام ابن حزم الأندلسي، أن من ن أعين الناس ، مـــا لا

يري.

لكن ذهب أهل الحق : إلي أنه لا يقلب أحد عبثا، ولا يحيل طبيعة إلاّ الله عز وجل لأنبيائه،[4] وعلـــي ذلك فإن السحر ما له حقيقة ، ووجود، ومنه ما هو علي سبيل التخييل ، وكله بإذن الله تعالي.

وبناءً علي ذلك فإن أنواع السحر ثلاث :

الأول، والثاني، هو ما سيأتي توضيحه، كما سبق ، أما الثالث : ما أطلق عليه أنه السحر علي ســـبيل المجاز ؛ حيث إن حقيقته ليست بسحر، لا علي سبيل الحقيقة ولا التخييل.

([1]) تفسير القرطبي: جـــ2: ص 46 (بتصرف)

([2]) قصة السحر والسحرة :الرازي ص 47(بتصرف):ط مكتبة القرآن(القاهرة)

([3]) الفروق: القرافي :149/4" ط دار المعرفة (بيروت)

([4]) الفصل : ابن حزم: 2/2 (بتصرف)

لكن العامة من الناس أطلقوا عليه بالسحر . وهذا من قبيل المجاز فقط، لأنه يقوم علي معرفة خواص المخلوقات، وعلي أعمال حيل منها، بخفة اليد، وسرعة العمل والخلط بينهم ، إلي أن يخيل للعامة لكذبهم،أنه تحول صنعهم حقيقة ، وذلك كالحبل الذي يحول علي شكل أفعي يتحرك بواسطة آلة تحركه[1]

السحر في القرآن الكريم، وأدلة الجمهور

لقد أجمع جمهور العلماء أن السحر، كما ورد في القرآن الكريم على نوعين:

أولاً: النوع الأول : السحر الحقيقي:

هو السحر الذى له حقيقة في الخارج، وقد قسمه ابن خلدون قسمين:

1- القسم الأول:

هو المؤثر بالهمة من غير آله، ولا معين، وهذا الذى تسميه الفلاسفة بالسحر الحقيقى.

2- القسم الثاني:

هو الذي يؤثر في غيره، بمعين، من مزاج الأفلاك، أو العناصر، أو خواص الأعداد، ويسمونه الطلسمات، وقد رأى أن ذلك القسم أضعف من الأول.

يوضح هذا النوع التالي:

لقد وصف هذا النوع بأنه: مبنى على العلوم الخفية، بأقوال، وأعمال مخصوصة، تؤثر في الآخرين بقدرة الله تعالى إذا صدرت من الساحر.

وقد شبهوه بما توصل إليه العلم الحديث، في هذا العصر من القوى الخفية (كالأشعة مثلاً) التى تستطيع أن تدمر وتهلك دون أن ترى؛ كذلك قيل أن بعض الأشخاص، قد يملكون قوى خفية خاصة من عملهم السحرى، التى يستطيعون منها، أن يصرعوا بها الآخرين، إذا تكلموا ببعض الكلمات، في أعمالهم السحرية[2]، وفى هذا النوع رأى الإمام القرطبى(رحمه الله) فى تفسيره: أنه لا ينكر أن يظهر على يد الساحر،مما ليس فى مقدور البشر، من مرض، وتفريق، وزوال العقل...وما إلى ذلك من فساد؛ لأن الجن قد يتلاعب بجسد الإنسان فيتغير بأمر الله تعالى، ويتبدل بحسب الضرر من العقد التى نفث فيها[3]

ولذلك قال الإمام ابن تيمية (رحمه الله تعالى): ".. وكذلك الساحر إنما يقتل، ويمرض، ويصعد في الهواء، ونحو ذلك بإعانة الشياطين.." [4]

([1]) تابع تفصيل هذا النوع في : عالم السحر والشعوذة : أ.د عمر سليمان الأشقر :مرجع سابق: ص 147:129.

([2]) المقدمة ابن خلدون: ص 926 (بتصرف).

([3]) تابع الجامع لأحكام القرآن:ج2: ص41(بتصرف)

([4]) تابع النبوات: ابن تيمية: ج1: ص251.

وإن الذين يعملون بهذا السحر هم الصابئة، وعباد الكواكب، وقد فصل هذا الباب تفصيلاً الإمام الشهرستاني.

فمنهم"البراهمة، وقد أطلق عليهم باسم" أصحاب الفكرة"، وهوالفكر المتوسط بين المحسوس،والمعقول،فإنهم يجتهدون كل الجهد، حتى يصرفوا الوهم، والفكر عن المحسوسات، بالرياضيات البليغة، وقيل أن لهم في هذا النوع من السحر مجاهدات، واجتهادات. [1]

والحقيقة أن كل ذلك مقدمات أفعال، يؤمرون بها من الشياطين، لتتحذ نفوسهم بنفوس الشياطين،وتزداد ظلمة على ظلماتهم، فيفعلون الفساد، والشر الذي يرجونه، من الإنس والشياطين معًا.

أما القسم الثاني، الذي قيل أنه لا يؤثر إلاَّ بمعين:

وهو شق من القسم الأول، لكنه يختلف عنه كما زعمت السحرة، باستعانتهم بالنجوم، الذي يعتقدون فيها بأثرها على عالم الأرض، وأنها بذاتها مدبرة له.

وقد رأى الفلاسفة أن الفرق بين هذا النوع، والذي سبقه:

أن هذا النوع يطلق عليه بسحر الطلسمات، يستعين مباشرة بالطلسم بروحانيات الكواكب، وأسرار الأعداد وأوضاع الفلك، في عرفهم.

أما الآخر يؤسس على رياضة الساحر، وفعل ما يطلب منه في ذاته أولاً.

يقول المنجمون، كما ذكر ابن خلدون:

السحر اتحاد روح بروح، والطلسم اتحاد روح بجسم، ومعناه عندهم ربط الطبائع العلوية السماوية،بالطبائع النفسية ، والطبائع العلوية، أى روحانيات الكواكب؛ ولذلك يستعير صاحبه، في غالب الأمر بالنجامة.

ولذلك يعتقدون في الطلسم الذي يستعملونه في أعمالهم السحرية، أن له تعلق بالأفلاك والكواكب، ومن ثم له الأثر الفعلي للسحر، لأنه من القهر والتسلط. [2]

ومن ثم رأى الإمام الرازي: أن هذا السحر هو عمل الذين كانوا في عهد " إبراهيم الخليل"(عليه السلام)، وقد رأى الإمام الرازى أن هذا هو سحر الكلدانين، والكسدانين، (كما سبق)، الذين كانوا يسكنون على شاطئ الفرات، في العراق، ومازال لهم الأثر القوي فى كثير من البلاد الأخرى.

([1]) تابع الملل والنحل: الشهرستانى: ص2: 240: 241.

([2]) مقدمة ابن خلدون: ص932 (بتصرف).

وقفة في السحر الحقيقي:

أن المقصود بالطلسم، فى القسم الثانى من السحر الحقيقى هو: عمل من تعاليم الشياطين؛ لإستحضارهم، فى وقت ووصف مخصوص، وأنه لا اختلاف فى القسمين، سوى الطريقة فقط لاستحضار الشياطين ولذلك فإن أصحاب الطلاسم، هم في حقيقتهم عباد للنجوم ؛ ومن ثم يزعمون أن النجوم مؤثرة في الإنسان، والحيوان، والكون.

طرق وأنواع عباد النجوم السبعة:

1- نوع يعبدون النجوم السبعة السيارة، ويعتقدون فيها النفع والضر، وقد بنى هؤلاء لهذه النجوم بيوتًا،وصوروا فيها تماثيل، سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك، وشرائع يعبدونها بكيفيتها، ويلبسون لها لباسًا خاصًا وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسًا خاصة، ولكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه.

وكلٌّ نجم جعلوا لعبادته أوقاتا مخصوصة، كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون.

وهذا النوع هو ما سبق الحديث عنه في سحر قوم إبراهيم (عليه السلام) قال الله تعالى: **(وَكَذلِكَ نُري إبراهيمَ مَلَكوتَ السَّماواتِ وَالأَرضِ وَلِيَكونَ مِنَ الموقِنينَ فَلَمّا جَنَّ عَلَيهِ اللَّيلُ رَأى كَوكَبًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلينَ فَلَمّا رَأَى القَمَرَ بازِغًا قالَ هذا رَبّي فَلَمّا أَفَلَ قالَ لَئِن لَم يَهدِنِي رَبّي لَأَكونَنَّ مِنَ القَومِ الضّالّينَ فَلَمّا رَأَى الشَّمسَ بازِغَةً قالَ هذا رَبّي هذا أَكبَرُ فَلَمّا أَفَلَت قالَ يا قَومِ إِنّي بَريءٌ مِمّا تُشرِكونَ)**[1]

2- ونوع يكتب بحروف "أبي جاد"، ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدم معلومًا، ويجرى على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة والأمكنة، وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده، ويطرح منه طرحًا خاصًا ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الأثنى عشر، المعروفة عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها توجبه الشياطين (أعوذ بالله من زعمهم).

ولذلك الكثير منهم يقوم بتغيير اسمه، خوفًا من تلك النحوس، أو يفرق بين المرء وزوجه بذلك، فإنه قد يُحكم بهذا الشّرك وهذا له من الذكور، وهذا لا يولد له إلاَّ الأنثى، وهكذا في الفقر والغنى، والحب، والبغض... وكل شئون الحياة.

3- ونوع ينظر فيه في حركات الأفلاك، ودورانها وطلوعها وغروبها واقترابها معتقدين أن لكل

([1]) سورة الأنعام: ٧٥ – ٧٨.

نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفردًا، وله تأثيرات أى عند اقترانه بغيره، في غلاء الأسعار، ورخصها وهبوب الرياح وسكونها، والحوادث والكوارث... وما إلى آخر من شركهم بالله تعالى. [1]كما سبق.

ثانياً: النوع الثانى: سحر العين أو التخيل:

لقد فسر هذا النوع، بأنه يقوم على التخييل؛ لأن الساحر يركز فيه على القوة المتخيلة، أو المصورة للأشياء، فقد عمد بسحره على السيطرة عليها، وهى التى تتصرف(كما قيل) في الصورة المحسوسة، والمعانى الجزئية المنتزعة منها، وتصرفها فيها بالتركيب تارة، والتفصيل أخرى، مثل إنسان ذى رأسيين، أو عديم الرأس.

وقيل أن هذه القوة: إذا استعملها العقل المفكر، سميت مفكرة، كما أنها استعملها الوهم في المحسوسات مطلقًا، سميت متخيلة[2] . وقد ورد أن هذا السحر يتم بواحد من طريقتين:

الطريق الأول: عمد الساحر الى القوة المتخيلة فى العقل:

إما أن يعمد الساحر إلى القوى المتخيلة، فيتصرف فيها بنوع من التصرف، ويلقى أنواعًا من الخيالات،والمحاكاة، وصورًا مما يقصده من ذلك، ثم ينزلها إلى الحس، من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه،فينظرها الراؤن كأنها في الخارج، وليس هناك شيء من ذلك، ويسمى هذا عند الفلاسفة الشعوذة والشعبذه"[3]

الطريق الثاني:الأخذ بالعين:

وفي هذا الطريق يركز الساحر على القوة الباصرة، لترى الشيء على حسب ما أراده الساحر؛ بالعيون ولذلك ذكر "ابن كثير" أن سحرة فرعون كانوا يدركون هذا النوع؛ لقوله تعالى: **(قالَ بَل أَلقوا فَإِذا حِبالُهُم وَعِصِيُّهُم يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنَّها تَسعى)** [4]فإطلاق التخييل في الآية صريح في ذلك.

وقد دلّ على هذا أيضًا قوله تعالى: **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** [5]؛ لأن إيقاع السحر على أعين الناس، في الآية يدلُ على أن أعينهم تخيلت، غير الحقيقة الواقعة،والعلم عند الله تعالى. [6]

([1]) تابع تفصيل السحر الحقيقى فى: معجزة العلاج بالقرآن لعلاج السحر والحسد: محمد عبد العاطى بحيرى: ط دارالتوفيقية: ص 132: 145.

([2]) تابع التعريفات : الجرجانى: ط الحلبى: ص 176(بتصرف)

([3]) المقدمة: ابن خلدون: ص 926.

([4]) سورة طه: آية 66.

([5]) سورة الأعراف:116.

([6]) تابع تفسير ابن كثير : ج1 ص255 (بتصرف)

ولذلك قال "الطبرى" : تفريقه بين المرء، وزوجه تخييله بسحره، إلى كل واحد منهما، شُخص الآخر على خلاف ما هو به، في حقيقة من حُسن وجمال، حتى يقبحه عنده، فينصرف بوجهه ويعرض عنه، حتى يحدث الرجل لزوجته فراقًا، فيكون الساحر مفرقًا بينها بإحداثه السبب، الذى كان منه فرقه بينهما"[1]

أى قد يؤثر عليه بالكره، أو الحب، أو يكون التفريق بينهما، بما يلقيه الشيطان في قلب الإنسان وفكره؛ ولذلك كما قال الله تعالى: (**سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم**) [2]،فعلى الرغم، أن سحرة فرعون سحروا أعين الناس، فخيلوا لهم أمراً عظيمًا، لا حقيقة له. لأن أعمالهم استغاثات بالجن، وعهود، ورقى معهم؛ ولذلك كان عمل الشياطين. أن خيلوا للناس هذا الأمر العظيم، وهو على غير حقيقته.

دلالة أن السحر مرض متنوع الوقوع والأثر:

لقد تبين إجماع علماء أهل السنة، أن السحر منه ما هو حقيقى، ومنه ما هو تخييلى؛ ولذلك ذكر جمهور العلماء عدة أدلة، على أنه متحقق الوقوع، وذلك ليبينوا للبعض الذى قام، بتفسير آيات القرآن الكريم الخاصة بالسحر ، على أنه تخييلى فقط ، يبين ذلك التالى:

أولاً: في قوله تعالى: (**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) [3] فكما ورد في الآية الكريمة أن السحر عبارة عن تعليم الشياطين للناس.

والعلم هو الحقيقة، وليس الخيال، ولذلك بهذه الحقيقة بإذن الله تعالى؛ يستطيع بهذا العلم أن يفرق الساحر بين المرء وزوجه (كما سبق).

ثانياً: إن السحر عمل، وصناعة تاتى بالتدريب، مع كفر الساحر بالله تعالى، ولذلك قال الله تعالى: (**وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**) [4] فإن النفاثات في العقد، هو عمل الساحر الذى هو النفاثات؛ وهو النفث في العقد. ولذلك فإن مبناه على حقيقة أمر الله تعالى، أن نستعيذ به سبحانه وتعالى منه.

([1]) تابع تفسير الطبرى :ج463/1.

([2]) الاعراف:116.

([3]) البقرة:102.

([4]) الفلق:3:5.

ثالثاً: ما تواترث الآثار عن الصحابة والسلف وإجماع العلماء، من الفقهاء، وأهل التفسير والحديث،وما يعرفه عامة الفقهاء [1] .

رابعًا: ماثبت عن رسول الله ﷺ في صحيح البخارى ومسلم من إصابته بالسحرﷺ كما سيأتى، ولذلك قال ابن القيم الجوزية: "والسحر الذى يؤثر مرضًا وثقلاً وعقلاً وحبًا وبغضًا ونزيفًا، هو موجود وتعرفه عامة الناس، وكثير من الناس عرفه ذوقًا بما أصيب به منهم"[2] . وقد استدل أيضًا بقوله تعالى: **(قالَ بَل أَلقوا فَإِذا حِبالُهُم وَعِصِيُّهُم يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحرِهِم أَنَّها تَسعى)** [3] وبقوله: **(قالَ أَلقوا فَلَمّا أَلقَوا سَحَروا أَعيُنَ النّاسِ وَاستَرهَبوهُم وَجاءوا بِسِحرٍ عَظيمٍ)** [4]

ووجه الاستدلال بهذه النصوص أنه إذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناس مع كثرتهم،حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغيير في إحساسهم، فما الذى يخيل تأثيره في تغيير بعض أغراضهم، وقواهم، وطباعهم؟! وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية، والتغبير الواقع في صفة أخرى، من صفات النفس والبدن؟.

فإذا غير إحساسه (بإذن الله تعالى) حتى صار يرى الساكن متحركًا، والمتصل منفصلاً، والميت حيًا فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضًا، والبغيض محبوبًا، وغير ذلك من التأثيرات[5] .

وعلى ذلك فإن السحر منه ما هو خداع، وتخييلات لا حقيقة له، ومنه ما له الأثر بالفعل، بسبب تسخير الشياطين بإذن الله تعالى، لكن ليس كل الإيذاء والضرر يستطيع السحرة والشياطين عمله إلاّ لفسدت الأرض؛ ومن ثم فإن لله سبحانه وتعالى حِكِم في إذنه، وأمره الكوني بالضرر الذى هو حقيقته، ليس في كل شيء، ولا بإطلاق كما يريد الساحر، وشيطانه.

وقفة جديرة بالذكر في الجن وعلاقته ببدن الإنسان:

قال الله تعالى: **(الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ**

([1]) تابع التفسير القيم لابن القيم :جمع محمد أويس الندورى: ط لجنة التراث (العربى (بيروت): 571 (بتصرف).

([2])تابع التفسير القيم :ص751(بتصرف).

([3]) سورة طه : آية 66

([4])سورة الأعراف: 116.

([5]) سورة الأعراف: 116.

إِلَى اللَّـــهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَـــئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [1] قال عبد الله بن أحمد بن جنبل : قلــت لأبى : "إن قومًا يقولون إن الجن لا تدخل في بدن الإنسي، قال : يابنى يكذبون هو ذا يتكلم على لسانه"[2]

ولذلك فإن أهل السنة والجماعة، قالوا بجواز دخول الجن في البدن، لكــن المعتزلــة، "وبعــض مــن الشافعية، قد أحالوا ذلك، وذلك لقوله تعالى: **(وَما كانَ لِيَ عَلَيكُم مِن سُلطانٍ)** [3]

ومن ثم فإن ما يزعمه العرب، ويعتقدونه من الشــيطان، يخــبط الإنســان، فيصــرع، وأن الجنــى يمسه،فينخلط عقله، وليس لذلك حقيقة، بلى هو من تخبط الشيطان بقائله".

وبالإضافة لما سبق، أذكر من ردود أهل السنة على هذا الرأى:

أولاً: استعاذة النبى ﷺ، من أن يتخبطه الشيطان

ثانياً: من تتبع الأخبار النبوية، وجد الكثير منها قاطعًا بجواز وقوع ذلك من الشيطان. [4]

وقد قيل أن أجسامهم كالهواء، فلا يمتنع دخولهم في أبدان الإنسى، كما يدخل الريح، والنفس المتردد[5] ولذلك فإذا ما تحصن المسلم، وذكر الله تعالى امتنع على الشيطان اختراق جسده.

المدى الذى يبلغه السحر الحقيقى:

لقد تبين أن للسحر تأثير، وإن له حقيقة، قال الإمام النووى، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلمــاء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة.

وهذا الرأى أيضًا هو ما ذهب إليه الفقهاء، الإمام الشافعى وأبو حنيفه، ومالك، كذلك رأى ابن قدامــة يرحمهم الله تعالى، فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، وما يأخذ الرجل عن امرأته بإذن الله تعالى... [6] وهكذا وهكذا لكن أصحاب هذا الرأى اختلفوا في المدى الذى يبلغه الساحر بسحره.

فمنهم من قال بأن السحر له تأثير فقط، في تغيير المزاج، كالأمراض، والحب والكره،.. وما إلى آخر. ومنهم من رأى أن السحر له أثر، إلى أبعد من ذلك، بحيث علــى هــذا المــذهب، أن يصــير الجمــاد حيواناً،والعكس

([1]) سورة البقرة:آية: 275.

([2])عمدة القارىء شرح صحيح البخارى: بدر الدين بن أحمد العينى– ط : إحياء التراث العربى (بيروت) ج21 ص214

([3]) سورة ابراهيم : آية 22.

([4]) تابع روح المعانى: ج3 : ص50 (بتصرف)

([5]) عمدة القارىء : ج21 : ص214(بتصرف)

([6]) تابع بتفصيل: بدائع الفوائد: ابن القيم :ج2 :ص452 (بتصرف)و تفسير القرآن العظيم : ابن كثير: ج4 :ص574 (تصرف)

وقفة واجبة الذكر:

من الجدير بالذكر أن المذهب الأشهر، هو فقط الذى يؤثر في المزاج، ويسبب الأمراض... وغير ذلك مما سبق.

لكن أن يصل به المدى أن يقلب الأشياء، لا يجوز على مذهب أكثر العلماء.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية، فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع، فهو محل خلاف، فإن كثيرًا ممن يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه".[1]

لكن أرى والله أعلم، على ما سبق: أن من حكمة الله تعالى الحكيم، أن لا يبلغ عمل الساحر ذلك بسحره، ذلك لحكمته سبحانه وتعالى، أن جعل كيده ضعيفًا.

ولذلك من الجائز أن يبلغ سحر التخييل هذا القدر، من الضرر الواقع على المسحور له، من شدة أثر السحر عليه أن يتوهم بتحول الأشياء من جنس إلى جنس، أو فلق البحر، أو نطاق البهائم... وما إلى ما تكلم فيه العلماء، والله تعالى أعلى وأعلم.

وقد سبق تعريف السحر:

بأنه أمر غريب شبه الخارق، وليس بخارق، إذ يجرى فيه التعلم، ويستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح قولاً كالرقى، التى فيها ألفاظ الشرك، وعملاً كعبادة الكواكب .. وسائر الفسوق[2] .

وعلى ذلك فإن الشطح بالأعمال السحر إلى هذا المدى يحوله إلى خوارق العادات، وهذا لا يجوز لاختلافه أيضًا عن المعجزة (كما سبق).

صور تعلم السحر:

لقد تبين أن حقيقة السحر، مبنية على الكسب والتعليم، ليس كل من أراده، يستطيع تعلمه؛ لأنه يتوقف على ثلاث أسس رئيسه:

أولاً: الدقة، وحسن حرفته، وفهمه من مصدره وأساسه الشيطانى.

ثانيًا: فساد وظلمه نفس الساحر، فكلما ازدادت نفسه ظلمة، كلما تمكن من عقد سحره، وتنوع عمله، كذلك فإن أساس عمله كما شرح ابن تيمية: النجاسات وأماكن وجودها، وكل فساد فيه تتوفر للساحر فيه

([1]) فتح البارى بشرح صحيح البخارى :ج10: ص 222. (بتصرف)

([2]) تابع روح المعانى: ج : 338 (بتصرف).

شروط عصيانه لله تعالى، ككل الأماكن المظلمة والنجسة الخبيثة، ليجتمع عندئذ الخبث والخبائس من الشياطين، مع خباثة الساحر، ونجاسته وكفره، وظلمة المكان ونجاستها، فاقتران بعضهما ببعض، مثمرًا ثمرة خبيثة هى السحر.

ثالثًا: دوام كفره بالله سبحانه وتعالى، وكونه عبدًا مطيعًا للشيطان، ويفعل كل الأفعال، التى يؤمر بها.

وعلى ذلك فإن صور تعلم السحر بإيجاز:

الصورة الأولى: تعلم السحر مباشرة من الشياطين: لقوله تعالى: تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[1]؛ ولذلك فإن طاعة الساحر للشياطين، من الكفر والشرك والفواحش هو: سبيله الأول لمواصلة أعماله السحرية .

الصورة الثانية: استدراج الشياطين للمرء الفاسد بأحلام شيطانية، أو هاتفات مباشرة؛ ومن ثم فإن لجهله، وبعده عن طريق الحق (سبحانه وتعالى)، يخيل إليه أنه من أولياء الله تعالى، ويخاطبه ملكاً من الملائكة،أو جنى قد سخر لخدمته، وقضاء حاجته، لأنه من خواص الناس.

وهكذا عندما يتمكن الشيطان الرجيم، من غرور نفسه، والتمويه عليه بأنه من الخاصة، الذى يجب إتباعه، ومن ثم استدرجه إلى الشرك، والكفر، والفواحش، ودعوة الناس لذلك بمعرفته الغيب، بخلط الحق بالباطل، ويسقط في سلسلة من الأباطيل والأوهام، يشرح ذلك ابن تيمية فمن قوله: ".. وشياطين الإنس والجن، يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف، وهو المزين المحسن، يغررون به، والغرور هو: التلبيس، والتمويه، وهذا شأن كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل.." [2] وذلك لقوله تعالى: **(إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دونِ اللَّـهِ وَيَحسَبونَ أَنَّهُم مُهتَدونَ)** [3]

ولذلك فإن ذلك من أخطر أنواع السحر، تتمثل لهم الشياطين أنهم من الملائكة، أو أرواح الأنبياء،والصالحين، ويظهرون في صور نورانية، ويخيلون لهم العظمة، والصلاح؛ ومن ثم يتمثل لهم فيظنوا أن هذا هو طريق النور، والرشاد وهو مسلك الشياطين.

([1]) البقرة : آية 102.

([2]) تابع مجموع الفتاوى: ابن تيمية :ج13 /ص80

([3]) الأعراف: آية30.

وهذا كله من الشرك، والتعظيم لغير الله تعالى، والاستعانة بالمخلوق عن الخالق.

ولذلك رأى ابن تيمية أنه يحدث ذلك كثيرًا، من النصارى، والمنتسبين إلى الإسلام، يدعونهم عند قبورهم، أو من مكان مظلم، يوصف لهم، ويستغثون لهم. فيأتيهم في صورة يعتقد المستغيث لا شك له أنه الملك، أو النبى... وهكذا.

فكل من يعتقد النفع، والضرر لغير الله تعالى، تستدرجه الشياطين، ليكون عابدًا لهم. [1]

وعلى ما سبق رأى ابن القيم (يرحمه الله تعالى)، أنه لا يحصل السحر من ذلك، إلاَّ بأنواع من القربات، تحددها للساحر الشياطين، وذلك من أنواع الشرك، طالما أن يذبح بإسمه، أو بنية لغير الله تعالى،وكل أفعال الفسوق كالسجود لغير الله تعالى، وإن لم يسمَّ ذلك عبادة[2] كأى من الاستخدامات، والمبررات، قال الله تعالى: **(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)** [3]وقال الله تعالى: **(وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَـؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ)** [4] فإذا تقرب إليه الساحر بالعزائم،والأقسام،والروحانيات السحرية، وأمثال ذلك من الكفر والشرك، صار ذلك كما صور ابن تيمية كالرشوة، والبرطيل لهم ، قيقضون البعض من أغراضه[5] . فكلما كان الساحر أكفر، وأخبث وأشد معاداة الله تعالى، والرسولﷺ،كلما كان سحره أقوي وأنفذ. قال الله تعالى: **(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ)** [6] ومن المهم ذكره، كما رأى ابن تيمية، أن ما تفعله الجن كثيرًا مع الكهنة،والسحرة هو إخبارهم ببعض أخبار مع الأكثر من الكذب مما يأكله الناس ويدخرون. لكن السحرة والكهنة يقفوا عاجزين، عن أخبار من حافظ على أذكاره، وسمى الله تعالى، في كل أموره وأحواله[7] .

الصورة الثالثة: الدخول في السحر من باب الروحنيات في عبادة الكواكب، والأفلاك، كما سبق على مفهومهم الباطل، كا عرض في عهد سيدنا إبراهيم (عليه السلام)؛ ولذلك ما زالت طائفة، يفعلون السحر على أنه رياضة نفسية، وروحية، ليرتقوا إلى روحانية هذه الأفلاك، كما يدعون الوقوف لها في أوقات مخصوصة،والسجود، والتضرع لها.

([1]) الفتاوى: ج14. ص281 (بتصرف)

([2]) بدائع الفوائد : إبن القيم : ج2 : ص461 (بتصرف)

([3]) يس: آية 60.

([4])سبأ :آية 41،4.

([5]) سبأ :آية 41،4.

([6]) تابع الفتاوى ج19 : ص9 (بتصرف) الشعراء :آية 221.

([7]) تابع النبوات : ابن تيمية : ج1 ص7 (بتصرف).

ومن المحزن أن الكثير منهم، يعتقدون أن ذلك من روحانية تلك الكواكب؛ وهم شياطين، يستحضورنها مما يفعلونه من أباطيل، فتستدرجهم، وتزين لهم أنها من أنوار علوية، صدرت من تلك الأجواء.

وكذلك! فإن أيضًا من الطرق السحرية كما رأى تيمية تنزل أرواح الجن على المسحر له، وذلك عندما يتقرب بسحره للكواكب، لتقضى له حوائجه، كما يتصور، فعندما يحدث له من السحر، كالطير به في الهواء... أو ما يريده الساحر والمسحر له، فالإطلاق أن لتلك الكواكب روحانية فوق المدركات البشرية، وأنها لها قدرة مع قدرة الله تعالى[1]سبحانه وتعالى عما يفعلون ويقولون؛ ومن ثم يقدس تلك الكواكب، أن مخاطبتها،وتقديسها تنفعه بجلب منفعة، ودفع مضرة، فيتخذها آلهة بفعله، مع إن إقراره من يظن فى نفسه بأنها مربوبةً لرب العالمين، فيرى ابن تيمية أن هذا نوع من الشرك، كالذى يعتقد أن نجما من النجوم السبعة هو المتولى لسعده، ونحسه، وهو المدبر له. [2]

الصورة الرابعة: على الأكثر إن هذه الصورة نجدها، فى المنتسبة إلى الطرق الصوفية، من الجهلة،وأصحاب الأهواء المختلفة؛ ولذلك رأى الكثير من العلماء منهم الإمام ابن تيمية، وابن قيم الجوزية أنه يخلط على كثير من الناس بين أولياء الله تعالى، وبين أولياء الشياطين؛ فلعدم علمهم رأوا أحوالاً شيطانية،حسبوها ربانية، وقد اشتد أمرهم خطورة، كما رأى ابن تيمية عندما رأوا الولى يأخذ من الله بغير واسطه، والنبى والرسول بواسطة؛ ولهذا جعلوا ما يفيض في نفوسهم من باب المخاطبات الإلهية والمكاشفات الربانية، أعظم من تكليم موسى ابن عمران، وهو فى الحقيقة إيحاءات شيطانية، ووساوس نفسانية قال الله تعالى: **(وَإِنَّ الشَّياطينَ لَيوحونَ إِلى أَولِيائِهِم لِيُجادِلوكُم وَإِن أَطَعتُموهُم إِنَّكُم لَمُشرِكونَ)** [3] ولو هدوا لعلموا أن أفضل ما عند الولى،ما يأخذه عن الرسول، لا ما يأخذه من غيره، وإن أفضل الأولياء الصديقون، وأفضلهم أبو بكر، وكان هو أفضل من عمر، مع أن عمر كان محدثًا (ﷺ)، كما ثبت في الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: **(**قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتى فعمر**)** [4] .

ولذلك **يرى "ابن تيمية"** أن الشياطين تقوى الإنسان بحسب الإمكان، فإن كان ممن لا يعرف دين الإسلام: أوقعته في الشرك الظاهر، والكفر المحض، فأمرته أن لا يذكر الله تعالى، وأن يسجد للشيطان

([1]) تابع الرد على البكرى: ابن تيمية : ط1 الغرباء الأثرية (المدينة المنورة) سنة 1417هـ (الأولى) بتحقيق محمد على عجال: ج1 : ص 69: 70 (بتصرف)

([2]) تابع مجموع الفتاوى :ج35 : ص174 (بتصرف).

([3]) تابع مجموع الفتاوى :ج35 : ص174 (بتصرف).

([4]) تابع بغية المرتاد: ج1 :ص37 ط مكتبه :العلوم والحكم (بيروت) لبنان 1408هـ (الأولى).

ويذبح له، ويفعل الفواحش، وهذا يجرى كثيرًا في البلاد الكفر المحض، وبلاد فيها كفر، وإسلام ضـــعيف ويجرى في بعض مدائن الإسلام، في المواضع التى يضعف إيمان أصحابها.

وهكذا إذا اختار المسلم الفواحش، والظلم أعانته الشياطين، ذلك مع قله معرفة بحقيقة، ما بعث الله بـــه رسوله ﷺ. فلا يستطيع أن يفرق بين الأحوال الرحمانية، وبين النفسانية، والشيطانية. [1]

وهذا فضلًا عن جهل الكثير من الناس، فإنهم لا يعلمون ما للشياطين من العجائب، فلا يعتقدونها إلاّ فى الرجل الصالح، وهذه الأعاجيـــب، لا يعرفونهـــا أيضًـــا إلاَّ أنهـــا لا تكـــون إلاَّ كرامـــة،ومع جهلهـــم يطيعونه،لإعتقادهم بأن الولى لا يعترض عليه، ومن ثم يفعلون المعاصى والكبائر والفـــواحش، والظلـــم ..كل ذلك وغيره على أنه من الطاعة.

* * * * *

([1]) تابع مجموع الفتاوى: ج17 ص 460 (بتصرف).

المبحث الثاني
حقيقة سحر رسول الله ﷺ

تمهيد:

إن السحر مرض، كأى مرض يصاب به الإنسان، بإذن الله تعالى، لقوله ﷺ: (... إن الله شافني الحديث) كما سيأتى . وعلى الرغم أنه يختلف في طبيعته، وأسبابه، عن الأمراض الأخرى.

ولذلك نجد سيدنا أيوب (عليه السلام)، قد ابتلاه الله تعالى، ليكون مثًلا أعلى في الصبر، والتوكل على الله تعالى بنور البصيرة، والثقة في الله تعالى، وهو نبى معصوم من الخطأ، قال تعالى: **(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** [1]، وقال تعالى: **(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)** [2].

فلا عجب إذن أن يبتلى الله تعالى الحبيب المصطفى، بهذا البلاء ليكون مثلاً أعلى يحتذى به، وذلك علىَ قدر مكانته، ورسالته العظيمة، يبين ذلك التالى:

حديث سحر الرسول ﷺ:

لقد روى هذا الحديث الشريف، عن رسول الله ﷺ ، في صحيح البخارى ومسلم والترمذى، والامام أحمد وابن ماجه، والنسائى، فأذكر من رواياته:

عن عائشة ﵂، قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بنى زريق، يقال له "لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله ﷺ ، يخيل اليه، أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلة، وهو عندى، لكنه دعا، ودعا، ثم قال: (يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى، فيما استفتيه فيه، أتانى رجلان، فقعد أحدهما عند رأسى، والآخر عند رجلى، فقال: أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب، قال : من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أى شيء؟ قال: فى مشط ومشاطة، وجف طلع نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال في بئر ذروان)، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: (ياعائشة، كان ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين)، قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجه؟ قال: (قد عافانى الله فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًا، فأمر بها فدفنت). قيل: المشاطة، مايخرج من الشعر، إذا مشط[3]

([1]) سورة الأنبياء آية 83.

([2]) سورة ص:41

([3]) آخرجه البخارى في صحيحة في ستة مواضع منها: كتاب الطب، باب السحر (2173/5) حديث رقم (5430). كما أخرجه مسلم في صحيحه : كتاب السلام، باب السحر (1719/4) حديث رقم (2189) كما أخرجه ابن ماجه في سننه (كتاب الطب): باب السحر (1173/2) حديث رقم (3627) كما أخرجه النسائى في سننه (كتاب تحريم الدم) باب سحرة أهل الكتاب (112/7) حديث رقم (4080)

قول جمهور العلماء في حقيقة سحر رسول الله ﷺ :

لقد منَّ الله تعالى على الناس، إذ ختم الرسل بالحبيب المصطفى، قال الله تعالى: **(لَقَدْ مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)** [1] وهو مع قدره العظيم: بشر يمرض، ويتعب كباقى البشر، وقد ورد عن الأنبياء، قبله ﷺ ، كما قال تعالى : **(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)** [2] ، وقال تعالى : **(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)** [3] ؛ ولذلك إن ما تعرض له ﷺ هو كالمرض، الذى يصيب البدن، ولم يحط أبدًا من قدره العظيم،ولا يؤثر قط على رسالته. وعلى ذلك أجمع جمهور العلماء، أن النبى ﷺ تعرض للسحر، لصحيح الرويات المروية عن ﷺ.

قال ابن القيم (رحمه الله تعالى)، حيث يشرح كيفية سحره ﷺ :

"والسحر الذى أصابه، كان مرضًا من الأمراض، شفاه الله منه، ولا نقص في ذلك، ولا عيب بوجه ما،فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء، فقد أغمى عليه ﷺ في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه،وجحش شقه، وهذا من البلاء الذى يريده الله به، رفعه في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاءً الأنبياء، فقد ابتلوا من أممهم به من القتل، والضرب، والشتم، والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبى ﷺ من بعض أعدائه، بنوع من السحر، كما ابتلى بالذى رماه فشجه، وابتلى بالذى القى على ظهره السلا وهو ساجد.. وغير ذلك فلا نقص عليهم، ولا عارض ذلك، بل هذا من كمالهم، وعلو درجاتهم عند الله"[4] .

وكذلك قيل أيضًا، في تفسير سحره ﷺ : أنه ليس نقصًا، ولا عيبًا، فليس الأمر كما زعم البعض مما اعترض على هذا الحديث؛ لأنه من جنس ما كان يعتريه من الأسقام، والأوجاع، وهو مرض من الأمراض وإصابته به كإصابته بالسم، ولا فرق بينهما"[5] .

وكذلك رأى ابن حجر، والقاضى عياض ".... أن السحر إنما تسلط على جسده، وظواهر جوارحه لا على تمييزه ومعتقده"[6]

([1]) آل عمران: آيه164.

([2]) الشعراء: آية 80.

([3]) الأنبياء: 83.

([4]) تابع بدائع الفوائد: الشيخ محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبد الله، تحقيق هشام عبد العزيز عطا–عادل عبد الحميد العدوى أشرف أحمد: ط مكتبة نزار مصطفى الباز(مكة المكرمة) 1416هـ–1996 م(الاولى).

([5]) تابع فتح البارى شرح صحيح البخارى: ج1 ص 227 (بتصرف).

([6]) المرجع السابق :ج10 ص227.

شبه من أنكر سحر النبي ﷺ :

على رأس المنكرين كانت المعتزلة، وقد بالغت في إنكارها لمّا أنكرت سند رواية حديث الرسول ﷺ على رغم من صحتها، وكان من الأدلة التى ساقتها:

1- قوله تعالى : **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** [1]

وعلى ذلك رأت أن هذه الرواية باطلة، وكيف تمكن القول بصحتها، مع ما ورد في هذه الآيات الكريمة.

2- إن تجوير هذه الرواية عن رسول الله ﷺ ، يفضى على القدح في النبوة؛ لأنه لو صح ذلك، لكان الواجب أن يصل الضرر لجميع الأنبياء، والصالحين، وكل ذلك باطل

3- إن الكفار كانوا يعيرونه ﷺ بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة، لكان الكفار صادقين في تلك الدعوة، ولحصل فيه ﷺ ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز. [2] وعلى ذلك أنكروا هذا الحديث، على رغم صحته، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة، ويشكك فيها، وقالوا كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل.

وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة، بما شرعه الله سبحانه من الشرائع، إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل، وليس هو، ثم كذلك وأنه يوحى إليه شيء ولم يوح إليه بشيء.

الرد على المعتزلة والمنكرين لهذا الحديث الشريف:

كل ما ورد من شبه في إنكار هذه الرواية، عن رسول الله ﷺ :

أولاً: إن الأدلة، واليقين على صدق الرسول ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى.

كذلك في عظمته ﷺ في التبليغ، وإن معجزته ﷺ الشاهدا ن بتصديقه، فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا، التى لم يبعث لأجلها، ولا كانت الرسالة من أجلها، فهو في ذلك عرضة، لما يعترض البشر كالأمراض، قال الله تعالى: **(قالَت لَهُم رُسُلُهُم إِن نَحنُ إِلّا بَشَرٌ مِثلُكُم وَلـكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَما كانَ لَنا أَن نَأتِيَكُم بِسُلطانٍ إِلّا بِإِذنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَليَتَوَكَّلِ المُؤمِنونَ)** [3]

([1]) طه: آية 69.

([2]) تابع تفصيل ذلك في التفسير الكبير:ج32 :ص172

([3]) إبراهيم: آية 11.

ثانيًا: إن من أنكر هذا الحديث، فقد انكر أدلة صحيحة ثابتة؛ وذلك كما قال الحافظ ابن حجر **(رحمه الله تعالى):** "قال عياض: فظهر بهذا أن السحر إنما تسلط على جسده وظواهر جوارحه، لا على تمييزه،ومعتقده، قلت: ووقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد، فقال: أخذ لبيد بن الأعصم : إن يكن نبيًا فسيخبر، إلاَّ فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله".[1] ولذلك ومن الجدير بالذكر:

أن الكفار كانوا يقصدون، بكونه مسحورًا، أنه ﷺ أزيل عقله، بواسطة السحر فلذلك ترك دينهم.

وقد قيل أن المقصود أن الله تعالى يعصمه، ويحفظه من الإنس والجن والشياطين، في التبليغ لرسالته،ونبوته، أما الإضرار ببدنه فلا يبعد (كما سبق).

ثالثاً: قال بعض العلماء : " لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء، ولم يكن فعله أنه يجزم بفعله ذلك، إنما يكون من جنس الخاطر يخطر، ولا يثبت. وقال عياض : " يحتمل أن يكون المراد بالتخييل المذكور، أنه يظهر من نشاطه، ما ألفه من سابق عادته، من الإقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن المعقود، المهم أنه لم ينقل عنه في خبره من الأخبار، أنه قال قولاً، فكان بخلاف ما أخبر به. [2]

رابعًا: قوله ﷺ ، كما وردت في بعض الروايات (إن الله شافني) والشفاء كما رأى الامام القرطبى:إنما يكون برفع العلة، وزوال المرض، فدلَّ على أن له حقًا وحقيقة، فهو مقطوع به، بإخبار الله ورسوله ﷺ على وجوده ووقوعه، ولقد شاع السحر وذاع في سابق الزمان، وتكلم الناس فيه، ولم يبدِ الصحابة ولا من التابعين إنكار لأصله[3].

خامسًا: من الجدير بالذكر في الرد على المنكرين لهذا الحديث، أن ضرر السحر متفاوت الأثر، والضرر فيتوقف على أسس منها:

الأساس الأول: أنه بإذن الله تعالى، لقوله تعالى: **(وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)** [4] ويعنى ذلك أنه عندما لا يأذن تعالى به، لم يقع، كذلك كالعين، والحسد، وإلاَّ فكل الناس ابتليت بضررهما وتعرضت لخطرهما.

---

(1) تابع فتح البارى شرح صحيح البخارى: ج10 : ص 227.

(2)تابع فتح البارى شرح صحيح البخارى :ج10 :ص227.

(3)تابع الجامع لأحكام القرآن: ج2 :ص41 (بتصرف).

(4) البقرة: آية 102.

الأساس الثانى: إن ضرر السحر متفاوت، ومختلف من شخص لآخر، فما يريده الساحر هو أقصى الضرر. ينوى بأذاه، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل كيده ضعيفًا؛ ومن ثم فإن الذكر والتحصين. بالله تعالى، والإيمان والتوكل عليه، لهم الأثر العظيم، في عدم وقوع ضرره، أو إذا أذن الله تعالى، الضرر البسيط وهو الدافع إلى زيادة من اليقين بالله تعالى، وذكره والتوكل عليه سبحانه وتعالى، والأجر العظيم بالصبر.

هذا وإن كان الضرر على سيد الخلق سيدنا محمد ﷺ، ماذا يكون الأثر عليه، مع عظمة إيمانه بالله سبحانه وتعالى؛ ولذلك فلا يؤثر ذلك البتة على رسالته ﷺ .

ولذلك فإن عامة الناس، منهم من يصاب بالسحر، وهو لا يدرى ولا يشعر به، وتمر حياته عادية، لأنه لم يضعه في حسبانه، ولا إعتباره وحواسه فكان كأن لم يكن. بالإيمان وتدبير عقله يمر فى جسده، ولا يؤثر ما أراده الساحر من أذى.

سادسًا: إن الصحابة رضوان الله عليهم لم يلاحظوا شيئًا على رسول الله ﷺ من أثر هذا السحروكذلك لم يروى عنهم أنهم رأوا شيئًا غريبًا عليه ﷺ.

وعلى ذلك، ومما سبق عرضه قد اتضح أن السحر من الأمراض بمشيئة الله تعالى، من الجائز أن يبتلى بها الإنسان، ليلتجأ إلى الله تعالى، ويزيد يقينه وتوكله عليه سبحانه. وأن الرسول ﷺ المثل الأعلى الذى يجب أن نحتذى به ﷺ.

رأي الصوفية:

وللصوفية رأى فى هذا الموضوع جدير بالذكر؛ فهم يرون أن القواعد المقررة التى سار عليها علماء الأمة هي المعيار الذي تعرف به صحة الأخبار، لا تصحيحها أو تخريجها في كتب صحاح، والقاعدة الشرعية العقلية أن صحة السند لا تستلزم صحة المتن، فقد يكون الإسناد خاليا من العلل القادحة، ويكون مضمون الخبر مع ذلك ضعيفا، أو موضوعا، يعرف من خلال عرض المتن على كتاب الله والعقل نعمة الله.

وتتعدد أوجه نقض قصة السحر فى رأيهم من حيث المتن والسند، وكل وجه منها كاف لإثبات بطلانه، منها:

الوجه الأول: قصة السحر تناقض تصريح القرآن بعصمة الرسول من السحر:قال الله تعالى في سورة الإسراء: (نحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا، انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً)، وقال في سورة الفرقان:

(وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ، لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا، انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً).

فقد سمى الله جل جلاله الذين ينعتون نبيه بالمسحور ظالمين، والظالم في القرآن الكريم رديف الكافر، فدل ذلك على أن من وصف النبي بالمسحور، ولو لحظة واحدة، ظالم كافر. وهذا أبلغ صيغة في الدلالة على أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من السحر بكل أنواعه.

وإذا سلمنا أن السحر أثر في الرسول ستة أشهر أو أقل كما ورد، فهذا يعني أن وصف الرسول بالمسحور خلالها وبعدها ليس ظلما، أي لو أن أحدا قال للمسلمين أيام تأثره بالسحر: إنكم تتبعون مسحورا، أو قاله بعد ذلك باعتبار ما كان، لم يكن ظالما ولا كافرا، وذلك عين مناقضة كلام رب العالمين.

ولا مجال للاستثناء والتخصيص، فالقرآن لا يخصصه إلا القرآن أو الحديث المتواتر الخالي من المطاعن، ومن خصص بالآحاد فذاك شأنه، والتخصيص لا يكون إلا في الأحكام لا في العقائد، والقرآن يقرر في الآيتين عقيدة، وهي أن وصف النبي بالمسحور ظلم وكفر، فلا تخصيص.

الوجه الثانى: قد تقرر في علم العقائد أن عقل النبي معصوم وجوبا قبل البعثة وبعدها، فلا يجوز عليه الجنون وفقدان التمييز حتى في حال النوم، حيث تنام عيناه ولا ينام قلبه كما أخبر عليه السلام.

ويجب عقديا أن يكون النبي صاحب فطنة وذكاء ورجاحة عقل، بحيث لا يتمكن من خداعه أو الضحك عليه أحد من الناس، وهكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم حتى لا يجد الأعداء مطعنا ينفذون منه.

وفى كتاب السيرة النبوية للإمام أبى العزائم رأى فى هذه المسألة، وهو أنه إذا كان الأنبياء يسحرون كان أولى بذلك سيدنا موسى عليه السلام لانه كان يعيش أبهى عصور السحر، فكيف لسيدنا رسول الله ﷺ، وهو أفضل رسل الله أجمعين. [1]

ويضيف الإمام أبو العزائم: أن الحديث بروايته فيه غضاضة غير لائقة بمنزلة النبوة، ولو ساغ أن التخيل، يؤثر فى النفوس الضعيفة، فكيف يقوى يهودى على التأثير فى أقوى نفس بشرية، وهى نفس الرسول؟ لأن من تعريفات السحر هو تأثير قوة روحية عالية على قوة أقل، فمن هو أعلى وأقوى روحانية من سيدنا رسول الله ﷺ.[2]

---

(1) السيرة النبوية للإمام أبى العزائم، شرح عبدالحليم العزمي ج2 ص241 .

(2) النجاة في سيرة المصطفي للإمام أبو العزائم.

وخلاصة القول، إنه لو جاز جريان السحر على الأنبياء والمرسلين لكان ذلك ذريعة لعبث أهل الكفـــر بهم، ولكان أدعى للمشركين إلى الطعن فى رسل الله وإيذائهم، لأن فى السحر تعطيلا للأنبيـــاء والتســـلط على جوارحهم فيسقط النفع بهم وينتفى الغرض من دعوتهم ويجعلهم عرضة للاستهزاء والسخرية.

وقفة وتعليق حول الرأيين:

إن الرأي الذي ينفي السحر عن رسول الله هو رأي يحتذي به، ومقبول عقلا، ويستريح له القلب، بمـــا يليق بمقام الرسول العظيم، وعلى كلا لا ضير في كلا الرأيين، لكن المهم قوله: أن الرســـول بمقامـــه لا يؤثر عليه السحر في سلوكه ورسالته.

* * * * *

المبحث الثالث

الحكم الشرعي على السحر والسحرة

تمهيد :

لقد سبق الحديث أن الساحر لا يثمر عمل سحره، صحيحًا، إلاَّ إذا اكتمل شروط كفره، وفسقه، فمقدار ظلمة نفسه يكون سحره؛ حيث إن السحر طريق أسس على الإشراك بالله تعالى؛ ولذلك تجب أن يكون خلوة الساحر، في المواضع النجسة، المظلمة، والتي ليس فيها أذان، ولا أدنى ذكر لله تعالى، هذا إلى جانب ظلمة قلبه،وخلوه من الإيمان بالله تعالى: **(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)** [1] ولذلك فالحكم الشرعي على السحر، والسحرة، حاسم لشدة كفره، وفساده، يبين ذلك التالي :

الدليل الشرعي على كفر الساحر وعمله :

(وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [2]

فالآية الكريمة محكمة البيان بكفرالساحر؛ ولذلك روى أنس ابن مالك ﷺ، قالﷺ(من أتىكاهنًا فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ)وفي رواية أخرى قال ﷺ (فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)[3].

نستدل مما سبق :

تصريح القرآن الكريم بأن الساحر كافر، وكل أعماله السحرية لا تتصف إلاَّ بالكفر

يوضح ذلك بتفصيل التالي:

أولاً : نبذهم لكتاب الله تعالى في قوله سبحانه: (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) [1].

([1]) الشعراء 221– 223 .

([2]) البقرة 101 – 102

([3])صحيح مسلم(4-1751) كتاب السلام.

ثانيا : أتباعهم للشياطين، بدلا من كتاب الله تعالى: **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّـهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [2].

ثالثا : قوله تعالى أيضا: (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) [3].

رابعا : التصريح بالكفر أيضا في الآية الكريمة لمن تعلمه، وكذلك بدأ الله تعالى بقوله سبحانه: **(وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ)** ثم قال تعالى: **(وَلَـٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)** ثم قوله تعالى: **(فَلَا تَكْفُرْ)** ومن ثم في الآية الكريمة تكرار لكلمة الكفر، مرة في نفيها عن سيدنا سليمان "عليه السلام"؛ ومرة في كفر الشياطين، وأخرى فلا تكفر فهذه أدلة صريحة، ويقينية في كفر الساحر، وكفر عمله.

خامسا: من اشترى هذا الكفر والفسق عن طاعة الله تعالى، ورجح في عمله هذا الباطل، ماله في الآخرة من نصيب .

وذلك أيضا في الآيةالكريمة: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّـهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [4]

سادسا : قال تعالى: **(وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى)** إن هذه الآية الكريمة أيضاً، تدل على النفي التام عن جميع أنواع الفلاح عن الساحر، وكل ما أتاه من سحره .

ويعنى ذلك أنه قد أغلق عن نفسه بسحره كل الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، وإن عدم الفلاح هذا لا يكون إلاَّ في صفات الكافر .

آراء الفقهاء والعلماء في كفر الساحر :

إن جماهير العلماء من فقهاء الحنفية، والمالكية، والحنابلة، يقولون بكفر السحرة، وخروجهم عن الدين

قال الإمام مالك (رحمه الله تعالى) وجماعة : أن الساحر كافر، وأن السحر كفر، وأن تعلمه وتعليمه كفر [5].

([1])البقرة 101 .

([2])البقرة 102.

([3])البقرة 103 .

([4])البقرة 102.

([5]) الشرح الكبير على مختصر خليل : سيدي أحمد الدردير أبو البركات: دار الفكر (بيروت)

ولذلك قيل أن تعلمه كفر، وإن لم يعمل به، إذ به تعظيم الشياطين، ونسبة الكائنات إليها، فلا يستطيع مسلم آمن بالله تعالى، أن يقول ليس بكفر .

فالآية الكريمة السابقة واضحة، في أن السحر بذاته من العلوم المكفرة، فلا يجوز تعلمه وتعليمه .

ولذلك عدَّه ﷺ من السبع الموبقات، أي المهلكات كما سبق، كذلك قال الإمام ابن قدامة (رحمه الله تعالى)؛ أن تعلم السحر، وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافًا بين أهل العلم. قال أصحابنا:« ويكفر الساحر بتعليمه، وفعله، سواء اعتقد تحريمه، وإباحته»[1].

لكن الحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) . قال أن الآية الكريمة السابق ذكرها دلَّت، على أن السحر كفر، ومتعلمه كافر .

وهذا في بعض أنواعه، كالتعبد للشياطين، أو الكواكب، لكن النوع الآخر، الذي هو ما باب الشعوذة،فلا يكفر به من تعلمه أصلاً .

وذلك لقول الإمام النووي : أن منه ما يكون كفرًا، ومنه مالا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، أي من الكبائر.

فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر، فهو كفر، وإلاَّ فلا.

أما تعلمه، وتعليمه فحرام، فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر .

ولذلك رأى بجوار أن تقبل توبته منه، ولا يقتل، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عذر " [2].

وعلى ذلك رأى الإمام النووي: أن تعلم السحر محظور، ومحرم لأن تعلمه داع إلى فعله، والعمل به فكان محظورًا .

لكن إذا تعلمه رأى أنه لم يكفر به، وقد استدل بالآية الكريمة السابق ذكرها .

وبناءً على ذلك رأى : أن من تعلم السحر، أو علمه، واعتقد تحريمه، لم يكفر .

لكن إن اعتقد إباحته، مع علمه بتحريمه فقد كفر[3].

([1]) المغنى : ج 9: ص 24 (بتصرف) ط : مكتبة الرياض الحديثة .

([2]) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : ص 10 : ص 224 .

([3]) تابع المجموع شرح المهذب : يحيى بن شرف النووي : دار الفكر بيروت 1997م : ج: 10ص 398 (بتصرف).

لأنه كذب على الله تعالى في خبر، ويقتل كما يقتل المرتد عن دين الله تعالى . وعلى هذا الرأي ذهب الإمام النووي أنه لا يجوز بيع كتب الكفر؛ لأنه ليس فيها منفعة مباحة، بل يجب إتلافها، كما يجب على المسلمين أن يحذروا كتب السحر، والتنجيم، فإنها تضر المسلم، وتوقعه في الشرك.

وهذا هو الواجب عمله .

كذلك لا يجوز لطالب العلم، ولا غيره أن يقرأها، أو أن يتعلم ما فيها، كذلك والأخطر على غير طالب العلم عوام الناس يجب الحذر الشديد، من تناولهم لها، فالواجب عليهم جميعا إتلاف، كل الكتب التي تعلم السحر، والتنجيم [1].

وقفة للتحليل والتعليق :

لقد تبين من رأى الحافظ ابن حجر، والإمام النووي، أنه صنف السحر إلى قسمين : منه ما يكون كفرًا، ومنه مالا يكون كفرًا، بل معصية كبيرة، وذلك إن كان سحره لا يقتضى إلى الكفر، كالاستعانة بخواص بعض الأشياء، من دهانات وغيرها، فهو حرام حرمة شديدة، ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر .

لكن الأولى والأحسن والأجدى، الرأي الذي يكفر السحر، والسحرة، مهما كانت نواياهم وأعمالهم؛ وذلك للتحذير الشديد من هذا الباب في الكتاب والسنة النبوية الشريفة، وكذلك لأن السحر مبنى على الخفاء ؛ ومن ثم فهو لا يعرف مزالقه الشركية، ومدى خطورته، فيقع في الشرك الأكبر وهو لا يعرف ولا يدرى بانزلاقه الى ظلمته.

الرأي الذي أجاز تعلم السحر من باب الحذر منه :

على الرغم أن الإمام النووي، صنف السحر صنفين، بين الكفر، والمعصية الكبيرة، لكن رأى الحذر الشديد من تعلمه، على رغم من بعض الفقهاء، وعلماء الكلام، منهم الشافعية، رأوا أن تعلمه ليس بحرام، بل يجوز ليعرف خطره، ويرد على السحرة، كذلك ليستطيعوا الرد، على من نظروا إليه أنه من الكرامات.

ولذلك قال الإمام الشافعي: " السحر معصية، إن قتل بها الساحر قتل، وأن أضرَّ بها، أدب على قدر الضرر .

وقد علل ابن حجر رحمه الله تعالى حيث رأى : أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين:

([1]) المرجع : ج 5 : ص 40 ، ليصرف .

أولاً : إما لتمييزه أو لمعرفة ما فيه كفر عن غيره.

ثانيًا : وإما لإزالته عمن وقع فيه.

فرأى أن لا محذور فيه إلاَّ من جهة الاعتقاد، فإذا سلم الإعتقاد، فمعرفة الشيء بمجـــرده، لا يســـتلزم منعًا، كمن يعرف كيفية عبادة أهل الأوثان للأوثان.

لأن كيفية ما يعلمه الساحر، إنما هى حكاية قول، أو فعل بخلاف تعاطيه، والعمل به [1].

وكان من الردود على هذا الرأي:

أولاً: هو علم غير كل العلوم، أنه كلام مؤلف، يعظم به غير الله تعالى، وتنسب إليـــه فيـــه المقـــادير والكائنات ، كذلك فى ذكر هذا العلم، وتكرار ما فيه، من الجائز أن تستحضر الشياطين بسبب جهل القارئ بما فيه

ثانيًا: أن الله سبحانه وتعالى، قد صرح في كتابه، بأنه كفر، لأنه تعالى قال: **(مَا تَتْلُو الشَّـــيَاطِينُ عَلَـــىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ)** من السحر، وما كفر سليمان، بقول السحر، ولكن الشياطين كفروا بتعلمه، وتعليمه.

وهاروت وماروت يقولان : إنما نحن فتنه فلا تكفر وهذا تأكيد للبيان [2].

وعلى الرغم من الحذر الشديد من معرفة هذا العلم، إلاَّ أن الكثير من أهل العلم يجوزون معرفته مـــن باب المعرفة المجملة له، على وجه الخصوص كيفية نزول الناس، إلى مستنقعاته واستدراج الشياطين لهم.

كذلك يريدون معرفة طرقه، ومداخله التعبدية؛ لكي يدفعوا ضرره إذا تكرر منه الفعل، أو يقر بذلك في شخص معين، وإن قتل يقتل حدا.

وكذلك في شبهاته، والتباس ظهور الشياطين في صورة ملائكة، وذلك عند عوام الناس إلاَّ كما يقولون: كيف يدفعوا شيئًا لا يعلمون حقيقته ؟!

وعلى كل فإن الساحر جمع في سحره بين الكفر، والفساد في الأرض، فإذا ثبت منه سحره وتكرر قتل حتما.

ولذلك روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أمر بقتل السحرة، قبل موته بعام.

([1]) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـــ 10 : ص 224 (بتصرف) .

([2]) تابع أحكام القرآن : ابن عربي : جـــ1 : ص 48 ، 49 (بتصرف).

وقد أجمعت العلماء أن جهل الساحر بحاله لا يبرئ ضلالته؛ لأن بعض السحرة من جهلهم يظنون أن ما يفعلونه هو من باب الكرامات.

ومن المهم توضيحه أن المرأة الساحرة كالرجل الساحر في الحكم بالقتل، وإن كان الإمام أبى حنيفة قال في ذلك: "بحبس المرأة المسلمة ".

أما الذمي الساحر، اختلف حول حكمه بالقتل، فقال بعضهم، "بقتله كالمسلم"، وقال الآخر . "يعاقب على قدر سحرة، فإذا قتل بسحره يقتل"؛ لأنه في حقيقة أمره قد كفر بالله تعالى، واستدلوا بذلك بلبيد بن الأعصم، الذي سحر رسول الله ﷺ، فلم يأمر بقتله رسول الله ﷺ؛ لأن الشرك الذي عليه أعظم من السحرة.

لكن من قال بقتل الذمي الساحر، رد هذا الرأي؛ لأن الرسول ﷺ كان لا ينتقم لنفسه، وإن السحر لم يضره في شيء في بدنه، وإنما اعتراه بشيء عن التخييل.[1]

والحق هو علم مضرته خالصة، لا منفعة فيه، فإنه قد قيل أن الساحر يتعلم مائة باب منه، ولا يحصل غرضه إلاَّ من باب بعد تعب ومشقة [2].

ولذلك في تفسير قوله تعالى : (**وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**) [3] أي لبئس ما باعو به أنفسهم، من تعلم السحر، لو كانوا يعلمون سوء عاقبتهم [4].

آراء الفقهاء في قتل الساحر:

اختلف الفقهاء فى قتل الساحر، هل هو كالمرتد في حقيقة أمره ؟ أم يختلف في شأن ويتفق في آخر؟ وما هو الحد الذى يبلغه بسحره حتى يحكم عليه بالقتل ؟!

فذهب أبو حنيفة ومالك، وأحمد، بقتله، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر، وعبدالله بن عمر،وعثمان .. وكثير منهم ﷺ .

وقال مالك : يقتل ؛ لأنه بسحره قد كفر، ولا يستتاب ولا تقبل توبته، بل يتحتم قتله .

([1]) تابع تفصيل ذلك: المنهاج شرح صحيح مسلم : جـ 14 : ص 176 (بتصرف) ومجموع الفتاوى : ج 29 : ص 384 (بتصرف) وتفسير القرآن العظيم : ابن كثير : جـ1 : ص 145 (بتصرف) وشرح العقيدة الطحاوية : جـ 1 : ص 569 (بتصرف) فتح الباري : جـ6 : 414. المغنى : ج، 12 . ص : 264 (بتصرف)

([2]) تابع مفتاح دار السعادة : ابن قيم الجوزية : جـ2 : ص 15 : ط دار الكتب العلمية (بيروت)

([3]) البقرة : 102 ..

([4]) تابع جامع البيان عن تأويل القرآن :الطبري : جـ1 : ص 352 (بتصرف). ط دار الفكر بيروت 1405هـ .

فإن أكثر العلماء ترى بقتل الساحر، والمسألة بينهم مبنية على الخلاف، في قبول توبة الزنديق.

وكما سبق قال الإمام الشافعي : إن قتل بالسحر يقتل، وإلاَّ عوقب بدون القتل؛ إذ لم يكن في قوله وعمله كفر .

واحتج أبو حنيفة بما روى أن جارية لحفصة أم المؤمنين (رضى الله عنها)، أمرت عبد الرحمن بن زيد قتلها، لأنها كانت ساحرة، كذلك لما أمر عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال ذلك: فقتلوا ثلاث سواحر [1].

ومن ثم فإن المشهور المعروف بين العلماء: أن الساحر يقتل من غير استتابة؛ وذلك لأن الصحابة لم يستتبوهم، ولأن السحر لا يزول بالتوبة .

لكن الإمام أحمد قال : إن تاب قبلت توبته، فخلى سبيله .

وبه قال الإمام الشافعى، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب، وتقبل توبته، فكذلك الساحر، وعلمه بالسحر، لا يمنع توبته، بدليل توبة سحرة فرعون .

أما إذا جحد أنه سحر، وهو ساحر قيل يجب قتله ؛ لأنه قد ثبت عليه السحر، ودليل أنه يضمر الشر. وقيل أن اعتقد أن سحره مباح، قتل لكفره ؛ لأنه قد حلل المحرم، المجمع على تحريمه المعلوم، من الدين بالضرورة كفر .

وإن اعتقد أنه حرام عند الإمام الشافعى ﷺ أنه جناية، ولا يقتل، لكن إن أضر به الغير، وأقر: يقتل[2].

لكن على الأكثر أن الساحر يقتل، حيث جمع في سحره الكفر، والفساد بين الناس، بطرق خفية مؤذية ومهلكة، ولذلك أعظم الكفر، كفر الساحر، وأكبر فساد، فساد الساحر، حيث فيه قد اتصل بالشياطين وقد بنى عمله على الخفاء .

عن جندب بن عبدالله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ (حد الساحر ضربه بالسيف) [3].

وقد روى أنه كان ساحرا يلعب عند الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فيأخذ سيفه فيذبح نفسه، ولا يضره فقام جندب ﷺ، فأخذ السيف، فضرب عنقه، ثم قرأ : **(أَفَتَأتونَ السِّحرَ وَأَنتُم تُبصِرونَ)** [4] ....[1]"

([1]) تابع الزواجر عن اقتراب الكبائر : ابن حجر الهثيمى : ط المكتبة العصرية (لبنان– صيدا) 1420هـ – 1999م الطبعة الثانية ، تحقيق مركز الدراسات والبحوث : جـ2 : ص 1718(بتصرف) .

([2])المرجع : والجزء والصفحة (بتصرف) .

([3]) الحديث سبق تخريجه في صحيح البخاري .

([4])الأنبياء : آية 3 .

آراء الفقهاء في توبة الساحر:

لقد سبق أن الساحر لكى يحقق غرضه من السحر، لابد وأن قد كفر بالله تعالى، وأشرك فبقدر ظلمة نفسه وفساده، يكون أذاه، وفساده بين الناس.

ولذلك اختلف الفقهاء حول توبة الساحر، هل يستتاب كالمرتد، أم ليس له توبة .

قال مالك، وأبو حنيفة ؛ لا تقبل توبته، فقد روى عن أبي حنيفة أن الساحر يقتل مطلقًا، إذا علم أنه ساحر بإقراره على نفسه، أو ببينه تشهد عليه، بأنه ساحر، ويصفونه بصفة، تعلم أنه ساحر ولا يقبل قوله "أترك السحر وأتوب عنه" .

فإن أقر بأني كنت أسحر مدة، وقد تركت ذلك منذ زمان، قبل منه، ولم يقتل .

وذلك لقوله ﷺ، كما رواه الدار قطنى : (حد الساحر ضربة بالسيف) [2].

وقد سئل الإمام أبى حنيفة : لماذا لم يكن الساحر بمنزلة المرتد حتى تقبل توبته ؟

فقال ﷺ ؛ لأنه جمع مع كفره السعي في الأرض بالفساد، ومن هو كذلك يقتل مطلقًا .

وقد ردَّ ما قاله الإمام بأنه ﷺ لم يقتل اليهودي الذي سحره، فالمؤمن مثله لقوله ﷺ : (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) [3].

الحكم الشرعي لمن أتى عرافا أو كاهنًا:

عن أنس بن مالك ﷺ، قال رسول الله ﷺ : (من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ، ومن أتاه غير مصدق له، لم يقبل له صلاة أربعين يومًا) [4].

عن وائلة بين الأسقع ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أتى كاهنا فسأله عن شئ حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه كفر) [5].

وعن بعض أزواج النبي ﷺ قال : (من أتى عرافًا فسأله عن شئ لم يقبل له صلاة أربعين ليلة) [1].

([1])تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام : الذهبي : دار الكتاب العربي (لبنان بيروت) 1407هـ - 1987م (الأولى) تحقيق د/ عمر عبد السلام ترمزي- وتابع "العبر في خبر من عبر: ط حكومة الكويت _1984م- الثانية) :ج1: ص12. .

([2])تابع مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى : أستاذ/ مصطفى السيوطي الرحيبانى : ط الكتب الإسلامي دمشق 1961م .جـ1 : ص 293 (بتصرف)

([3]) الحديث في المعجم الأوسط (378/6) حديث رقم (6670) .

([4]) المعجم الكبير (69/22) حديث رقم (69) .

([5])صحيح مسلم : (1751/4) كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة واتيان الكهان حديث رقم (2230) .

لذلك فالمصدق للساحر كافر، ويتساوى في كفره مع الساحر نفسه، وكل علم يستتبع فيه السحر وطرقه، يدخل في الكفر، كالكهانة الذين يدعون علم الغيب بواسطة شياطينهم، قال على ﷺ (من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) [2].

مصداقًا لقوله ﷺ : (ثلاث لا تدخل الجنة : مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق السحر)[3].

من الأمر البيِّن أن من أتى الساحر، ومن على شاكلته، فصدقه فقد تساوى معه في كفره بالله تعالى ذلك، وكما سبق فقد نفى الله تعالى عنه كل الفلاح، فكيف يبغي المسلم الرأي والمشورة، ممن خسر كل الفلاح في الدنيا والآخرة! قال الله تعالى: **(وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)** [4] .

وكما سبق قوله تعالى : أيضا **(وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا)**[5] .

وعلى ذلك، وكما يأتي تفصيله، يجب على المسلم أن يعمل على تجديد إيمانه، ويدعو الله تعالى ويتوكل على الله تعالى، ويقرأ من القرآن الكريم، ما ذكره ﷺ عند هذا البلاء وليعلم، كما قال الله تعالى : **(وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ)**[6] . وبالإضافة لما سبق إن السحرة لا يقولون، ولا يكتبون من الأقوال إلاَّ التى فيها الشرك، والأقسام بالشرك والتعظم للشياطين .. وهكذا[7] .

وإن الوجهة إلى غير الله تعالى كفر، ولهذا كان الساحر كافرًا [8].

قال الله تعالى : **(يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ)** وقد فسر الجبت : بالسحر، وكل متعلقات السحر تأخذ حكمه في التحريم، وذلك كما روى أبو داوود في سننه، بإسناد قبيصة بن مخارق، عن النبى ﷺ : (العيافة، والطرق والطيرة من الجبت) وقيل : العيافه، زجر الطير . والطرق : الخط يخط على الأرض .

([1]) الحديث في المعجم الأوسط (378/6) برقم (6670).

([2])أخرجه الإمام أحمد فى مسنده : جـ 4 / 399 .

([3])رواه مسلم .

([4]) سورة البقرة 102 .

([5]) البقرة 102 .

([6]) البقرة 102

([7]) تابع الجواب الصحيح : ابن تيمية : جـ 3 : ص 388 (بتصرف)

([8]) مقدمة ابن خلدون : جـ 1 ص 504 (بتصرف) .

ومن الأمر المهم الإشارة إليه، أنه يدخل في التحريم، وكذلك الكفر والإشراك بالله تعالى"تعليق التمائم،والجبت لدفع السحر، أو لعلاجه " .

فقد أجمع العلماء أن التمائم جزء من السحر، والتمائم : جمع تمتمة، وهى حرز، أو قلادة تعلق في الرأس، أو غيرهما .

فقد كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع السحر، والأمراض، والتِولة أيضًا، بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففًا : شئ كانت المرأة تجلب به محبه زوجها، وهو ضرب من السحر، وهو أيضًا من الشرك، لأنهم أرادوا دفع المضار، وجلب المنافع، من عند غير الله " .

وكل ذلك .. وغيره من العزائم ؛ والطلاسم والرقى ما فيه عباده للجن، وتعظيم لهم، فهى الشرك وإن لم يعلم الحامل لها ذلك .

وكل ذلك وغيره، حرام وأبطله الإسلام [1].

ويعود المسلم صحيحًا، وهكذا لا يحل السحر إلاَّ بما شرعه الله تعالى، من القراءة الشرعية والدعاء والأدوية المباحة والصبر، والتوكل على الله تعالى، واحتساب الأجر، والصواب عند الله تعالى، وكذلك كل ما يتعلق بهذا الباب من العين والحسد، والكهانة .. وغير ذلك .

الحكم الشرعي لحل السحر بالسحر :

إن اليقين الثابت، ومن البداهة أن الداء لا يحله إلاَّ الدواء، ومن الجدير بالذكر أن السحر الذى هو الكفر، والخروج عن طاعة الله تعالى، وسبيله الصحيح، لا يحله إلاَّ الرجوع إلى الله تعالى.

فمن يتصور أن يحل مشكلته باللجوء للسحرة فقد كفر مثلهم (كما سبق فى حكم الفقهاء) يوضح ذلك التالي :

أولاً: إن حلَّ السحر بالسحر مناف لمفهوم الإيمان بالله تعالى، والتوكل عليه، وهو الشرك الجليّ بالله تعالى، قال الله تعالى: **(أَفَتَتَّخِذونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَولِياءَ مِن دوني وَهُم لَكُم عَدُوٌّ بِئسَ لِلظّالِمينَ بَدَلًا)** [2]

ثانيا: إن الساحر كافر، تنزلت عليه الشياطين لكفره، ومن ينزل إلى رأيهم فقد اتخذ الشياطين أولياء من دون الرحمن سبحانه وتعالى : **(هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ)** [1]

([1]) تابع بتفصيل فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ 11 ص 351 (بتصرف) ومجموع الفتاوى : جـ 19 : ص 13 (بتصرف) .

([2]) الكهف : أية: 50 .

ثالثًا : كذلك إن يفعل ذلك يزيد أمره رهقًا ، وسوءًا، وغمًا ومرضًا ؛ ولذلك كما رأى الإمام ابن تيمية " أن الشياطين قد تعين الإنسان على بعض مقاصده، إذا أشرك، وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان، على بعض أغراضه، المفسدة، إذا أشرك .

فلا يحل له ذلك إذ المفسدة الحاصلة بذلك، أعظم من المصلحة الحاصلة به، إذ الرسول ﷺ بعث بتحصيل المصالح وتكميلها، قال الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)**[2]

وقال تعالى: **(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا)** [3] .

وهكذا مهما نال من فائدة، في وهم نظرته وزعمه، فهى فتنة واستدراج إلى نار جهنم، فليحذر هذا المتوهم.

* * * * *

([1]) سورة الشعراء: آية 221 – 223 .

([2])النساء آية : 60 .

([3]) الجن آية : 6 .

المبحث الرابع
الرقية .. وعلاقتها بالسحر

تمهيد :

إن من الجدير بالذكر توضيح مفهوم الرقية، وما هو وجه اقترانها، بالسحر، والعين، والحسد ؟ حيث إنها قديمة، قدم السحر، ومعروفة لدى الأمم السابقة .

لذلك ورد في حديث عوف بن مالك الأشجعى ﷺ قال : كما نرقى في الجاهلية، فقلنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال ﷺ (أعرضوا على رقاكم، لا بأس بالرقى مالم يكن فيه شرك)[1].

وهكذا وكما يتبين إن كانت الرقية بألفاظ غير معروفة، وغير عربية، ولا مفهومة، فهى من وحى الشياطين، واستحضارهم :

الرقية في اللغة :

هى العوزة، تقول استرقيته، فرقاني رقية، فهو راق، وقد رقاهَ رقيا ورِقيا، ورجل رقاء : صاحب رقى. يقال : رقى الراقى رقية وقيا، إذا عوذ، ونفث في عوذته؛ ومن ثم، فالرقية، والرقى، والاستقراء: العوزة التى يرقى بها صاحب الآفة، كالحمى، والصرع، وغير ذلك من الآفات[2] .

الرقية في الاصطلاح :

هى العوزة التى يرقى بها صاحب الآفة، كالحمى، والصرع .. وغير ذلك من الآفات، بقراءة شئ من القرآن الكريم كالمعوذات.

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود، عن عبدالله بن مسعود، ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) قالت : قلت : لم تقول هذا ؟

والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت اختلف إلى فلان اليهودى يرقيني، فإذا رقانى سكنت .

فقال عبدالله : إنما كان عمل الشيطان، ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها .

إنما يكفيك أن تقولي، كما كان رسول الله ﷺ يقول (أذهب البأس رب الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلاَّ شفاؤك شفاء لا يغادر سقمًا) [1].

([1]) الحديث في صحيح مسلم (1727/4) باب (لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)، حديث رقم (2200) .

([2])تابع لسان العرب : (332/14) ط دار صادر (بيروت) الأولى وتابع النهاية فى غريب الحديث والأثر : 254/2 .

ولذلك في روايات أخرى قالت (رضي الله عنهما) : (فإذا خرجت يومًا فأبصرني فلان، فدمعت عيني التي تلين، فإذا رقيتها سكنت دمعتها، وإذا تركتها دمعت، قال : ذاك الشيطان، إذا أطعتيه تركك، وإذا عصيته طعن بإصبعه في عينك ..... إلى آخر).

أنواع الرقية :

تنقسم الرقية قسمين :

النوع الأول : الرقية المحرمة :

وهو كل مالا يتضح لفظه، ولا مفهومه ؛ ولذلك كما ورد عن رسول الله ﷺ (.. لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك) [2].

لقد نهى علماء العقيدة والفقه الإسلامي عن كل الرقى، التي لا يفقه معناها ؛ لأنها مظنة الشرك، وإن لم يعرف الراقي أنها شرك .

ولذلك فإن عامة ما بأيدي الناس من العزائم، والطلاسم التى لا تفقه بالعربية، فيها ما هو شرك بالجن[3]. لقوله تعالى: **(وَإِنَّ الشَّياطينَ لَيوحونَ إِلى أَولِيائِهِم لِيُجادِلوكُم وَإِن أَطَعتُموهُم إِنَّكُم لَمُشرِكونَ)** [4]

ولذلك يجب على الراقي أن يتجنب، من القراءة ما لم يفهمه مطلقًا، من الألفاظ المجهولة، عليه فإن عدم علمه لا ينفي عنه الكفر، والشرك بالله تعالى، فقد هلك الكثير، من هذه الرقى المجهولة.

النوع الثاني : الرقية الشرعية :

وهو كل كلام من القرآن الكريم، والأذكار، والأدعية الواردة في السنة النبوية الشريفة، وذلك كما كانﷺ يرقى نفسه، إذا اشتكى من ألم، أو تعب .

فقد روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) : (أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى، يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه، وأمسح بيده رجاء بركتها) [5].

([1])أخرجه أبو داود ، كتاب الطب : باب في تعليق التمائم في سننه (9/4) حديث رقم(3883) . وتابع عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري: (261/24).

([2]) عمدة القارئ ى شرح صحيح البخارى: (261/21) .

([3])تابع الفتاوى : ابن تميمة : جـ 19 ص 9 (بتصرف) تيمية.

([4])الأنعام : 121.

([5]) صحيح البخاري : (1916/4) كتاب فصائل القرآن ، باب فضل المعوذات ، حديث رقم (4728) .

ولذلك فإن للرقية الشرعية أهمية في حياة المسلمين، فهى من حسن الإلتجاء إلى الله تعالى، ولذلك فلها التأثير بإذن الله تعالى في شفاء المسلم، على حسب حاجته وألمه، بشرط إذا تحقق صدق الإيمان، واليقين بالله تعالى، والتوكل عليه سبحانه، أنه هو الشافي، والنافع، والضار سبحانه وتعالى.

أهمية الرقية الشرعية في حياة المسلمين:

1- إن الرقية تأثيرها عظيم ؛ لأنها من أبواب الدعاء، والالتجاء إلى الله تعالى.

2- تضرع المسحور إلى الله تعالى، بالصبر والدعاء، وتجديد الإيمان ؛ وهى تعتمد على قوة يقين الراقى، والمسترقى بالله تعالى، من الأسس الإيمانية .

والعقيدة الراسخة بالله تعالى فيها:

أنه إذا أصاب المسلم بأسًا جدد إيمانه، ورجع إلى الله تعالى، وتضرع بين يديه سبحانه وأحسن اليقين بالتوكل عليه، والثقة بالله تعالى .

وقد رأى علماء الإسلام بأهمية الرقية، كما رأى الإمام النووى : أنها استحباب، الدعاء عند حصول الأمور المكروهات، وتكريره، والإلتجاء إلى الله تعالى، في دفع ذلك [1].

وقد رأى ابن القيم الجوزية : أن في الرقية توسل إلى الله تعالى بكمال ربوبيته، وكمال رحمته بالشفاء وأنه وحده الشافي، وأنه لا شفاء إلاَّ شفاؤه، فتضمنت التوسل به إليه بتوحيده، وإحسانه وربوبيته [2].

ومن الجدير بالذكر ما رأه أيضًا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : وهو أنه يلازم الطلب ولا ييأس من الإجابة، لما في ذلك من الانقياد، والاستسلام، وإظهار الافتقار، حتى قال بعض السلف:

" لأنا أشد خشية، أن أحرم الدعاء من أن أحرم الإجابة، وكأنه أشار إلى حديث ابن عمر ﷺ: (من فتح له منكم باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة) [3].

3-من الجدير بالذكر، في توضيح أهمية الرقية، أن نتعلم كيفيتها كما كان ﷺ يفعلها لنفسه ولغيره

كما سبق، قد روت السيدة عائشة (رضي الله عنها) :(أن رسول الله ﷺ، كان إذا اشتكى، نفث على نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكى وجعه الذى توفي فيه، طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث، وأمسح بيد النبي ﷺ عنه) [4].

([1]) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ10 : ص 228 .

([2])تابع زاد المعاد في هدى خير العباد : جـ4 : ص 188 (بتصرف)

([3])تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ 11 : ص 141. والحديث أخرجه الإمام الترمذي .

([4])أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازى : باب مرض النبي ﷺ ووفاته (1614/4) حديث رقم (4175) .

وفائدة النفث : التبرك بتلك الرطوبة، والهواء، الذى اختلج بقراءة القرآن الكريم.

وينفث بالفم، وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل (نفث)، أى تفل بغير ريق، أو مع ريق خفيف[1] .

والمقصود بالمعوذات : الإخلاص، والفلق، والناس .

فالنبي ﷺ رقى نفسه، ورقاه جبريل، وأنه ﷺ رقي بعض أصحابه .

كما أباح ﷺ الأكل بالرقية .

وكان يعوذ الحسن، والحسين، ويسترقى لهما .

فمن شرح الله تعالى صدره، وأيقظ قلبه، ونور بصيرته أدرك أن القرآن العظيم، شفاء لما في القلوب والنفوس، والأبدان.

قال الله تعالى: **(قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى)** [2]

وقال تعالى: **(يا أَيُّهَا النّاسُ قَد جاءَتكُم مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُم وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدورِ وَهُدًى وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ)**[3]

وقال تعالى : **(وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ ما هُوَ شِفاءٌ وَرَحمَةٌ لِلمُؤمِنينَ وَلا يَزيدُ الظّالِمينَ إِلّا خَسارًا)** [4]

ومن ثم رأى الإمام ابن الجوزى رحمه الله تعالى : فجميع القرآن شفاء، وفي هذا الشفاء ثلاثة أقوال :

أحدهما : شفاء من الضلال لما فيه من الهدى .

الثاني : شفاء من السقم لما فيه من البركة.

الثالث: شفاء من البيان للفرائض والأحكام [5].

شروط جواز الرقية :

أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون بكلام الله تعالى، وبأسمائه وصفاته .

الشرط الثاني : أن يكون باللسان العربي، أو بما يعرف معناه من غيره .

الشرط الثالث : أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى [1].

([1])تابع المرجع السابق : جـ12 ص 371.

([2])فصلت آية : 44 .

([3])يونس آية : 57 .

([4])الإسراء آية : 82 .

([5])تابع زاد المسير في علم التفسير : جـ 5 ص 79 : عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزى ط المكتب الإسلامي (الثالثة) : (دمشق) .

ومن الجدير بالذكر : ما تكون به الرقية أيضا (كما سبق):

قراءة أسماء الله الحسنى، لقوله تعالى :(**وَلِلَّـــهِ الأَسماءُ الحُسنى فَادعوهُ بِها**) [2]

وروى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إن لله تسعة وتسعين إسمًا مائة إلاَّ واحدًا مـــن أحصـــاها دخل الجنة) [3].

ولذلك أجمع العلماء بجواز الرقية بالأسماء الحسنى، لأن الرقية من الدعاء، وخير الدعاء بما يحبه الله تعالى .

مفهوم وحكم النشرة :

من الجدير بالذكر توضيح مفهوم النشرة، حيث إنها متعلقة بالرقية .

فالنشرة : نوع من التطبب، بالإغتسال على هيئة مخصوصة بالتجربة، لا يحيلها القياس الظنى[4].

ولذلك قيل : أنه ﷺ، قصد استعمال الماء على وجه ينفع، فليبحث عن ذلك الوجه، ليحصـــل الانتفـــاع به[5].

فإن الإغتسال أمر منصوص عليه، كما قال الله تعالى: (**ارْكُـــضْ بِرِجْلِـــكَ هَـــــذَا مُغْتَسَـــلٌ بَـــارِدٌ وَشَرَابٌ**)[6].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : " والاغتسال من النشرة النافعة" .

فرأى الإمام القرطبي لذلك :

من النشرة أن يكتب شيئًا من أسماء الله تعالى، أو من القرآن الكريم، ثم يغسله بالماء، ثم يمســـح بـــه المريض، أو يسقيه.

فأجازها سعيد بن المسيب، فقد قيل له : الرجل يؤخذ عن امرأته، أيحل وينشر ؟ قال : لا بأس به.

وما ينفع لم ينسه عنه، وكانت عائشة (رضي الله عنها) تقرأ بالمعوذتين في إناء، ثم تـــأمر أن يصـــب على المريض، ومن ثم قيل أن النشرة أمر معروف، عند أهل التعزيم؛ وسميت بذلك ؛ لأنها تنشـــر عـــن صاحبها، أي تحل [7].

([1])تابع فتح الباري في شرح صحيح البخاري : جـــ 10 : ص 95 (بتصرف) .

([2]) الأعراف : آية 180 .

([3]) أخرجه البخاري (2691/6) كتاب التوحيد – باب إن لله مائة اسم إلا واحد / حديث رقم (6957) – وأخرجه مسلم في صحيحه (2063/4) حديث رقم(2677) باب في أسماء الله تعالى ، وفضل من أحصاها .

([4])تابع عمدة القارئ شرح صحيح البخاري : جـــ22 : ص 135 (بتصرف) .

([5])تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري: جـــ10 : ص 176 .

([6])سورة ص . آية 42 .

([7]) تابع الجامع لأحكام القرآن : جـــ 10 : ص 315 (بتصرف) .

ولذلك من أحلَّ النشرة رأى أنها؛ من جنس الطب، فهى غسالة شيء، فلها فضل، وهى كوضوء رسول اللهﷺ وكذلك قولهﷺ كما سبق:(لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك، ومن استطاع أن ينفع أخاه فليفعل)[1].

وعلى ذلك، فإن من أجازها (كما سبق) إذا كانت من كتاب الله تعالى، والسنة النبوية الشريفة

فلا بأس على هذا الرأي، لا بأس بالتداوى بالنشرة، أن تكتب في ورق، أو إناء نظيف سور من القرآن، أو بعض سور، أو آيات متفرقة من سورة، أو سور، مثل آيات الشفاء، بشرط كما سبق التوكل على الله .

وعلى الجانب الآخر: لقد رأى البعض، بتحريم النشرة : منهم: سئل الإمام أحمد، وأجاب بأن : "النشرة من عمل الشيطان" .

إشارة إلى أصلها، كذلك منعها البعض، حيث ذكروا : " قال الحسن : سألت أَنسًا، فقال: ذكروا عن النبي ﷺ أنها من الشيطان، لذلك حرمها الإمام الحسن البصري .

وقد روى أبو داوود من حديث جابر بين عبدالله ﷺ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن النشرة، فقال: (من عمل الشيطان) [2].

لكن قيل؛ أن لها وجوه محتملة، أن هذا ما إذا كانت خارجة، عما في كتاب الله تعالى، وسنة رسول الله ﷺ وعن المداواة المعروفة.

ويختلف الحكم بالقصد، والنية، كذلك بمصدرها وأساسها، فإن كان خيرًا فخير، وإلاَّ فهو شر[3].

وعلى ذلك يتبين إن كانت النشرة مما كان في الجاهلية، وكما كان عند السحرة، فحرام، كما سبق في حلٍّ السحر بالسحر.

إما إذا كانت بالرقية الشرعية، وبما سبق من المعوذات، والأدوية المباحة، فهذا جائز، ومستحب كما في الرأي الأول.

* * * * *

([1]) تابع فتح الباري شرح صحيح البخاري : جـ 10 : ص 233.

([2]) الحديث في سنن أبى داوود : (6/4) باب : في النشرة حديث رقم (3868) ، كما أخرجه الحاكم في المستدرك (464/4) كتاب الرقى والتمائم حديث رقم (829/2) وقال عنه حديث صحيح .

([3]) أعلام الموقعين عن رب العالمين : ابن قيم الجوزية : جـ4 ص 116 وبتصرف .

الخاتمة

إن خير ختام هذا البحث اذكر:

أولا: أركان وأسس الإيمان التى يجب أن يحفظها المسلم قلبًا وقالبًا

قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّـــهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّـــهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [1]
وقوله تعالى: (وَإِمّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزغٌ فَاستَعِذ بِاللَّـــهِ إِنَّهُ سَميعٌ عَليمٌ) [2]

ومن أحاديث الرسول (ﷺ) التى وردت توضح للمسلم الطريق المستقيم، قال ابن عباس عـــن رســـول الله(ﷺ) : قال: كنت خلف رسول الله(ﷺ) يومًا، فقال(**يا غلام إنى أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فأسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلاَّ بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لـــم يضـــروك إلاَّ بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**) [3]

ثانيا: السحر حقيقة وتخييل:

لقد أجمع جمهور العلماء أن للسحر حقيقة، وواقع معروف، منذ البدايات الأولى للإنسان، كذلك فإنـــه متنوع، منه ما هو على سبيل التخييل، والوهم، والأخذ بالعين، ومنه ما هو على حقيقة مرضية، تصـــيب الإنسان بإذن الله تعالى؛ لقوله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [4]

ثالثا: إن المعجزة فعل خارق للعادة، مقرون بالتحدى وعدم المعارضة:

ولذلك ليست للمقارنة بينها، وبين السحر، الذى هو في حقيقته من تعليم الشياطين(كما ســـبق)؛ ولـــذلك فهو يتصف بطبيعتهم النارية، الشيطانية، ومن ثم فهو يختلف بعض الشئ عن الأفعال العادية للبشر، ولكن ليس بخارق للعادة، ولا هو مقرون بالتحدي.

1- فالمعجزة آيات بينات، وعلامات كبرى في اصطفاء الله تعالى لرسله، وحجـــج ســـاطعة لصـــدق الرسل،أما السحر على خلاف ذلك تمامًا، بل هو فعل يعتمد على الخفاء، وغير مقرون للتحدى.

2- الأنبياء معصومون من السحر، والفساد، فشتان الفروق بين النبى والساحر، فالنبى صـــادق فيمـــا يخبر به عن ربه، ولا يستطيع أحد قط أن يكذبه، إلاَّ الجحود دون بينة، أما السحرة هـــم علـــى نقـــيض الأنبياء، فالكذب، والفسق، والعصيان، والفساد، والظلم....وغير ذلك مما اتصفوا به، لقوله تعالى: (**هَـــلْ**

([1])الطلاق: آية 3.

([2])الاعراف: آية 200.

([3])أخرجه الترمزى في صحيحه(ج667/4) كتاب (صفة القيامة) حديث رقم(2516).

([4])الأنبياء: آية : 83.

أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) [1]

3- الأنبياء لا يأمرون إلاَّ بالخير والصلاح للناس كافة، كذلك والعدل، ومصالح العباد في كل المعاش،والمعاد، وكل ما يتوافق مع الفطرة، والعقل؛ فهم القدوة في البر والتقوى. أما الساحر لا يأمر إلاَّ بالشرك، والظلم، والعدوان وكل ما هو فساد في الأرض.

4- آيات الأنبياء والرسل معجزات خارقة للعادة، مقرونة بالتحدي ظاهرة، وساطعة للناس كافة، أما السحر، والكهانة هى أمور خفية، معتادة معروفة لأصحابها تنال بالكسب، والسعى في سبيل الشياطين. أما النبوة لا تنال بالرغبة والتعليم والاكتساب، ومن ثم قال الله تعالى: **(وَأَلقِ ما في يَمينِكَ تَلقَف ما صَنَعوا إِنَّما صَنَعوا كَيدُ ساحِرٍ وَلا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى)** [2]فقد نفي سبحانه كل الفلاح وهو مخذول في الدنيا والآخرة، وهو كاذب خبيث فالأنبياء هم الصفوة المختارة، قال **(قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلى أَن يَأتوا بِمِثلِ هـذَا القُرآنِ لا يَأتونَ بِمِثلِهِ وَلَو كانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهيرًا)** [3]

5- يستطيع المسلم المؤمن الخالص والصادق لله تعالى، أن يعارض السحرة، وأن يقاوم آذاهم، أما آيات الأنبياء فلا يستطيع ساحر قط أن يعارضها، أو يأتي بمثلها.

6- أن الغيب، لا يعلمه إلاَّ الله تعالى، واستثنى ذلك من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه، بطريق الوحى إليهم، وجعله معجزة لهم وآيات ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس الساحر، أو المنجم، ومن على شاكلتهما يعرفوا الغيب، بل هم كفرة يكذبون، قال بعض العلماء(وليت شعرى ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان، على اختلاف أحوالهم، وتباين رتبهم، فيهم الملك، والسوقة والعالم والجاهل، والغنى والفقير،والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعم وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم، فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة؟!

فإن قال المنجم قبحه الله : إنما أغرقهم الطالع الذى ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك، أن هذا الطالع ركبوا فيه، فيكون على مقتضى ذلك، أن هذا الطالع أبطل أحكام تلك الطوالع كلها، على اختلاف عدد ولادة كل واحد منهم، ولم يبق إلاَّ معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم، [4] وصدق الله العظيم **(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا)** [1]

([1])الشعراء: آية رقم221،222.

([2])طه: آية رقم69.

([3])الاسراء: آية رقم88.

([4])تابع الجامع لأحكام القرآن: ج19:ص27.

رابعا: الإنابة والإخلاص والصدق، وذكر الله تعالى:

إن السحر من الأمراض الشديدة الضرر، والأذى على الإنسان؛ وذلك لأن مبناه على الخفاء،والدقة،وعدم الوضوح، فيبتلى به الإنسان، ولا يدرى كيف، ولا متى؟! وعلى الرغم من ذلك فإن تأثيره على المسحور به متفاوت، ومتنوع الأثر، من حيث شدته، وضعفه، ووجود ذلك يتوقف على حكمة الله تعالى في ابتلاء هذا الإنسان، فان الصدق والإخلاص، والذكر الكثير لله تعالى، يمد الإنسان بقوة، وثبات على الحق، فيستطيع أن يصبر، ويتوكل على الله تعالى.

والقلب إذا كان دائمًا على ذكر الله تعالى، بعقيدة ثابتة،راسخة بالله تعالى، يتدبر آياته، في ذكر الله تعالى، حينئذ يرى بعين البصيرة كيد الشيطان ضعيفاً؛ولذلك قيل أن الشيطان يصرع من ذكر الله تعالى، كما يصرع الإنسان من مس الشيطان.

فقد نقل بعض السلف: "إذا تمكن الذكر من القلب، فإذا دنا منه الشيطان صرعه، كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيقولون له الشياطين: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس"[2]

فإن الذكر مع الأعمال الصالحة، لهما الأثر العظيم في جلاء القلب وصقله، وتقويته، حتى يصير كالمرآة المجلوة، فإذا دنا الشيطان منه أصابه من نور، ما يصيب مسترق السمع من الشهب الثواقب، فيصرع الشيطان، ومن ثم فلا تستوى الناس، من حيث إيمانها بالله، وتوكلها الصادق، لذلك قال الله: **(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)** [3]

وعلى نقيض ذلك الذى يصبر، ويعزم على ذكرالله تعالى الدائم والتوكل عليه، قال الله تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)** [4] ولذلك كما قيل أهم ما ينبغي دفع أذى السحرة حال الإتيان:

1- صفاء القلب من الكذب.
2- الإخلاص في التوبة، والندم على ما فرط منه.

وإلاَّ فغلبة أسباب الداء تبطل نفع الدواء، فالضعف في الدين، والجهل بأحكامه، يورث الوهن والخوف الشديد، فتكثر الوساوس، والأوهام، وهما وقود نار تسلط الجن والشياطين. [5] وعلى ذلك فالغفلة عن ذكر

([1])الجن: آية 26،27.

([2])تابع مدارج السالكين: ابن قيم الجوزيه ج2: ص 424.

([3])الزخرف: آية 36.

([4])السجدة :آية رقم24.

([5])تابع الفتاوى الكبرى الفقهية: ابن حجر الهيثمى: ط دار الفكر: ج4 ص:29(بتصرف).

الله تعالى الخطر الكبير على المسحور، قال تعالى: **(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـــنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)** [1] وقال تعالى: **(وَجَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي آذانِهِم وَقرًا وَإِذا ذَكَرتَ رَبَّكَ فِي القُـــرآنِ وَحدَهُ وَلَّوا عَلى أَدبارِهِم نُفورًا)** [2]

سادسًا: إن السحر الذى أصابه (ﷺ) كان من جنس الأمراض التى كانت تعتريه (ﷺ)، فلا نقص لـــه ولا عيب، فالأضرار في جسده من السقم، والوجع فلا يبعد عنه(ﷺ)؛ لأنه بشر، وقد شفاه الله تعالى. وهـــذا لا ينافي أن الله تعالى عصمه، وحفظه في دعوته ورسالته، ونبوته، وفي التبليغ؛ ولذلك كما سبق أيضًا بقدر الإيمان الصدق يكون أثر السحر، فى ضعفه وقوته فما بالنا برسول الله(ﷺ)، فالأثر عليه لا يُذكر إلاَّ لأنه مشرع لنا، وأيضًا بما يجرى على نفسه، لنتعلم، ونقتدي به (ﷺ)

خامسًا: خطوات الشفاء، والتحصين من السحر والعين والحسد:

والحسد: ذكر ابن القيم عشرة أسباب أذكر منها على سبيل التصرف:

1- التعوذ بالله من شرهم، والتحصن به، واللجوء إليه.

2- تقوى الله تعالى وحفظه عند أمره، ونهيه، فمن اتقى الله تولى الله تعالى حفظه، ولم يكلـــه إلى غيره.

3- الصبر على عدوه، وأن لا يقابله، ولا يشكوه، ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً.

حيث إنه كلما تحدث أو حدث نفسه به، كلما نشط، وقوى من ضعف شكوته، ووجد فراغًا فـــي نفســـه عاش فيه .

ولذلك قال الإمام ابن قيم الجوزيه: "أن الله تعالى جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجنداً لا يهزم، وحصنًا حصينًا لا يهدم، فهو والنصر أخوان شقيقان: فالنصر مع الصبر، والفرج مـــع الكـــرب والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه مع الرجال بلا عدة ولا عدد.

قال تعالى: **(إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَـــا يَضُـــرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّـــهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)** [3] ومن ثم فإن الصبر هو مفتاح الفرج، والنصر، ولذلك فقدره عظيم في نعم الله تعالى في الدنيا والآخرة، وخاصة على المبتلى بهذا المرض، وما ترتب عليه من الأذى الجسدي، والنفسي مما قذفه الشيطان.

4- التوكل على الله تعالى ، قال الله تعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـــهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّـــهَ بَالِغُ أَمْـــرِهِ)** [4] فالتوكل من أقوى الأسباب التى تقوى المسحور، ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم.

([1])الزخرف: آية 36.

([2])الإسراء: آية :46.

([3]) سورة آل عمران: ١٢٠

([4])سورة الطلاق:آية 3.

5- فراغ القلب من الاشتغال إلا بالله تعالى، والفكر فيه، وأن يقصد محو الخواطر السحرية من باله كلما خطر له، فلا يلتفت إليه ولا يخافه، ولا يملأ قلبه بالفكر، والهم فيه. وجعل الإقبال على الله تعالى والإخلاص، والإنابة إليه سبحانه في محل خواطر نفسه، وأمانيها تدب فيها، دبيب تلك الخواطر شيئًا فشيئًا حتى يقهرها، ويغمرها، ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره، وهواجسه، وأمانيه، كلها في مجاب الرب، والتقرب إليه، وذكره، واستعطافه.

6- تجديد التوبة إليه سبحانه من الذنوب، التي بسببها، سلطت أعداؤه فإن الله تعالى: **(وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ)** [1] ذلك سواء يعلم المسحور ذنوبه أو لا يعلمها، وليضع في اعتباره أن مَالا يعلمه من ذنوبه أضعاف ما يعلَّمه.

7- الصدقة والإحسان ما أمكنه، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفع العين، وشر الحاسد.

8- وهو من أصعب الأسباب على النفس، وأشقّها عليها، ولا يوافق له إلاَّ من عظم حظه، من الله تعالى، وهو يطفيء نار الحاسد؛ والباغى، والمؤذى بالإحسان إليه، فكلما ازداد الأذى، شرًا وبغيًا، وحسدًا ازددت إليه إحسانًا وله نصيحة، وعليه شفقة، وذلك على الحاسد والعائن، أما الساحر اعتقد أنه يخرج من الإحسان أصلاً؛ لأنه لا يستحق إلاَّ القتل.

9- وهو الجامع لذلك كله، وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد، والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم ولا يضر، ولا ينفع إلاَّ بإذنه، ووحده هو الذى يصرف الضرار عنه،لا أحد سواه قال تعالى: **(وَإِن يَمسَسكَ اللَّـهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُرِدكَ بِخَيرٍ فَلا رادَّ لِفَضلِهِ يُصيبُ بِهِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَهُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ)** [2] فإذا جرد العبد التوحيد لله تعالى، خرج من قلبه، خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه، من أن يخافه مع الله تعالى، بل تفرد الله تعالى بالمخافة، قد أمنّه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به،واشتغاله به، وفكره فيه. وتجرد لله محبة وخشية، وإنابة وتوكلاً واشتغالاً، عن غيره.

فإن إعمال فكره في أمر عدوه، وخوفه منه، واشتغاله له به من نقص توحيده، والله تعالى هو الذي يتولى حفظه، والدفع عنه فإن الله تعالى: هو الذى يدافع عن الذين آمنوا، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله تعالى عنه، قال الله تعالى: **(أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)** [3] فكلما كمل إيمانه كان دفع الله تعالى عنه أتم دفع،وإن مزج مزج له، فالتوحيد حصن الله الأعظم، الذى من دخله كان من الآمنين.

ثامنًا: لقد وردت سور وآيات كريمة كثيرة، بذكرها إن شاء الله تعالى، مع الأعمال الصالحة يبرأ المسلم من أذى الساحر.

([1])الشورى: ٣٠

([2])يونس: ١٠٧

([3])آل عمران: آية: 175.

منها: سورة البقرة، فقد روى عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال : [لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة] [1] ومن سورة البقرة أيضًا آية الكرسي]:

عن أبي هريرة ﷺ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فآتاني آتٍ، فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت لأرفعنك إلى رسول ﷺ ، فذكر الحديث ، فقال إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي،لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ: [صدقك وهو كذوب... ذاك الشيطان][2]

ومن سورة البقرة الآيتان من سورة البقرة، عن أبي مسعود ﷺ قال: قال النبي ﷺ: [من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه]. [3]

وكفتاه: قيل من قيام تلك الليلة، وقيل من المكروه ، وقيل من الشيطان.

وذكر أيضا أنه يقرأ من سورة البقرة، أخرج عن أنس رضي الله عنه أن النبي قال ﷺ: ليس أشد على مرده الجن من هؤلاء الآيات، التي في سورة البقرة **(وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَـٰنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)**[4] "[5]ومما روى عنه ﷺ ، عن عائشة ﷺ أن النبي ﷺ : (كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة، جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما **(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد)** الإخلاص و **(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)** الفلق و**(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)** الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات). والكثير من الأحاديث الشريفة، التى توضح كيفية التحصن والشفاء من هذا الداء.

والحمد لله رب العالمين

وصلى اللهم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

([1])صحيح مسلم: ج1/539-كتاب(صلاة المسافرين) باب(استحباب صلاة النافلة).

([2])صحيح البخارى(4/1914) كتاب فضائل القرآن/باب فضل سورة البقرة حديث رقم(4722).

([3])الحديث فى سنن الترمزى: ج5: ص517(كتاب الدعوات على رسول الله ﷺ – باب جامع الدعوات –حديث رقم (3478) حديث حسن صحيح.

([4]) البقرة 163-164.

([5]) صحيح البخارى:ج4(1916) كتاب فضائل القرآن/ باب فضل المعوذات حديث رقم/(4729).

فهرس المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم .

2- الأذكار – شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف النـــووي الدمشـــقي، الشـــافعي – طبعة: دار الكتاب العربي (بيروت – لبنان) سنة (1999هـــ - 1979م) .

3- الترغيب والترهيب: الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القـــوى المنـــذرى: طبعـــة/ مصطفي البابى الحلبي (الثالثة) لسنة (1388هـــ - 1968م) .

4- سنن ابن ماجة (أبو عبدالله محمد بن يزيد) . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى: طبعة عيسى الحلبى – سنة (1372هـــ - 1952م) .

5- سنن أبو داود (الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إســـحاق الأزدى السجســـتانى) – طبعة : مصطفى البابى الحلبي (الأولى) لسنة 1952م.

6- صحيح البخاري (محمد بن إسماعيل البخاري) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي : طبعة المكتبـــة العصرية (صيدا – بيروت) .

7- صحيح مسلم (الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القيشيرى النيسابورى) – تحقيق محمد فـــؤاد عبد الباقي – طبعة المكتبة العصرية (صيدا- بيروت) لسنة 1411هـــ - 1991م.

8- المجموع شرح المهذب – الإمام يحيى بن شرف النووي – طبعة : دار الفكر (بيـــروت) لســـنة 1997م.

9- المفردات في غريب الحديث والأثر : طبعة دار المعارف .

10- النهاية في غريب الحديث والأثر : طبعة دار المعارف .

11- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – الشيخ . إسماعيل ابن محمد العجلونى الجراحي – تصحيح وتعليق أحمد الفلاس – طبعة مكتبة التراث الإسلامي (حلب) .

12- مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى – طبعة دار صادر (بيروت) .

13- الأعلام : طبعة (دار المعارف) .

14- التعريفات : الشريف على بن محمد بن على السيد الزين أبى الحسن الحسيني الجرجاني – طبعة (بيروت) لسنة 1985م.

15- القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى : طبعة دار الكتب المصرية.

16- لسان العرب : ابن منظور : طبعة صادر (بيروت) (الأولى).

17- إبكار الأفكار في أصول الدين- الإمام سيف الدين الآمدى – تحقيق : أ0د أحمد محمد المهـدى: طبعة دار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) سنة (1424هـ - 2004م) .

18- أحاديث السحر والرقية في الكتب الستة رواية ودراية – الشيخ : موسى بن محمد بـن جـابر الفيفى – طبع على نفقة أهل الخير.

19- أحكام القرآن – أبو بكر الرازى – طبعه دار الفكر .

20- أحكام القرآن – ابن عربى(أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربى) – طبعة دار الفكر (لبنـان) – تحقيق محمد عبد القادر غطاه .

21- إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد محمد بن محمد العزالـى – ت(505هـ) – ط المكتبـة التوفيقية .

22- أضواء البيان – الشنعيطى – طبعه دار الفكر (بيروت) سنة 1415هـ .

23- أعلام الموقعين عن رب العالمين – ابن قيم الجوزية (أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد الزرعى الدمشقي) – تحقيق عبد الرؤوف – طبعة دار الجيل (بيروت) 1973م .

24- المفردات فى غريب القرآن – الأصفهانى – طبعة دار المعارف (بيروت) .

25- الملل والنحل : الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى ت(548) – تحقيق أبى محمد محمد بن فريد – طبعة المكتبة التوفيقية.

26- بدائع الفوائد – محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبدالله – تحقيق : عادل عبد الحميد العدوى – وهشام عبد العزيز عطا – وأشرف أحمد- طبعة مكتبة مصطفى الباز (مكة المكرمة) سنة (1416هـ - 1996م) (الأولى) .

27- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة ، والقرامطة ، و الباطنية – الإمام أحمد بن عبد الحليم بـن تيمية الحزانى أبو العباس – طبعة مكتبة العلوم والحكم (بيروت – لبنان) لسنة 1408هـ - (الأولى) .

28- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام – شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الـذهبي – طبعة : دار الكتاب العربى لبنان (بيروت) 1407هـ - 1987م (الأولى) تحقيق عمـر عبـد السـلام تدمري.

29- تفسير الطبري (الإمام محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى أبو جعفر) طبعـة مصـطفي البابى الحلبي (القاهرة) (الثانية) 1373هـ - 1954م .

30- تفسير القرطبي – طبعة دار الكتب المصرية 1387هـ - 1967م .

31- جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الإمام الطبري – طبعة دار الفكر (بيروت) سنة 1405هـ.

32- دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدي- طبعة دار المعرفة للطباعة (الثانية) سنة 1971م (بيروت) .

33- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ، والسبع المثانى (الألوس) – طبعة إحياء التراث العربي (بيروت).

34- زاد المسير في علم التفسير – عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى – طبعة المكتب الإسلامي (الثالثة) دمشق .

35- زاد المعاد في هدى خير العباد – محمد بن أبى بكر أيوب الزرعى أبو عبدالله – طبعة مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية (بيروت) (1407هـ - 1986م) الطبعة (الرابعة عشر) – تحقيق شعيب الأرناؤوط – وعبد القادر الأرناؤوط .

36- شرح العقيدة الطحاوية – الإمام القاضى على بن على بن محمد بن أبى العز الدمشقي – تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي – وشعيب الأرنؤوط – طبعة مؤسسة الرسالة (الثانية) سنة (1424هـ - 2005م).

37- شرح المقاصد – الإمام العلامة مسعود بن عمر بن عبدالله الشهير" سعد الدين التفتازانى- طبعة الكتب العلمية (بيروت- لبنان) (الأولى) 1422هـ - 2001م .

38- عالم السحر والشعوذة – أ.د/ عمر سليمان الأشقر – طبعة دار النفائس .

39- عمدة القارئ شرح صحيح البخارى (بدر الدين محمود بن أحمد العينى) – طبعة دار إحياء التراث العربى (بيروت) .

40- فتاوى العلماء في السحر – اللجنة الدائمة للإفتاء – طبعة مكتبة الصفا .

41- فنون السحر – أحمد الشفتاوى- طبعة دار المعرفة (مصر) سنة 1957م .

42- فيض القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير – تأليف محمد بن على بن محمد الشوكانى – طبعة (دار الفكر – بيروت) .

43- قصة السحر والسحرة : للرازي – أخرجها من تفسيره محمد إبراهيم سليم – طبعة مكتبة القرآن الكريم) (الأولى) القاهرة .

44- النجاة فى سيرة سيدنا رسول الله للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم. ط: دار الكتاب الصوفى بالقاهرة.

45- كشاف اصطلاحات الفنون- محمد الفارقى التهانوى- طبعة الهيئة المصرية .

46- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون – مصطفي بن عبدالله القسطنطينى الروبى الحنفي طبعة : دار الكتب العلمية (بيروت) ستة (1413هـ - 1992م) (الثانية) .
47- مجموع فتاوى – ابن تيمية – طبعة دار المعرفة (بيروت) .
48- مشارق الأنوار – القاضي أبو الفضل عياض المالكي (544هـ) (ابن عياض المالكي) – طبعة المكتبة العتيقة للتراث (القاهرة) .
49- مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى – مصطفي السيوطي الرحبيانى – طبعة المكتب الإسلامي (دمشق) .
50- معارج القبول – الشيخ حافظ حكمي – طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث (السعودية) .
51- معالم التنزيل – الحسين بن مسعود البغوى – طبعة (طيبة) 1417هـ (الرابعة) .
52- مفتاح دار السعادة – ابن قيم الجوزية – طبعة دار الكتب المصرية .
53- مفاتيح الغيب – الإمام الرازي – طبعة الكليات الأزهرية .
54- السيرة النبوية لأبى العزائم شرح عبد الحليم العزمى، ط: دار الكتاب الصوفى بالقاهرة.

*****

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة..... 3
الفصل الأول: تعريف السحر، والفرق بينه وبين المعجزة..... 6
تمهيد..... 6
المبحث الأول: تعريف السحر في اللغة .. والاصطلاح 6
أولاً : المفهوم اللغوي للسحر..... 6
ثانيا: المفهوم الإصطلاحى للسحر..... 8
الأول : في اصطلاح بعض المفسرين..... 8
الثاني : تعريف السحر عند بعض من علماء الفقه والعقيدة..... 9
المبحث الثاني: تعريف المعجزة لغة واصطلاحًا.....11
تمهيد.....11
أولاً : المعجزة في اللغة 12
ثانيًا : المعجزة في الاصطلاح 12
ثالثًا : شرائط المعجزة.....13
المبحث الثالث: مجمل خوارق العادات والفرق بينها وبين المعجزة 15
تمهيد.....15
أولا: الإرهاص والمعجزة.....16
ثانيا: الكرامة 16
ثالثًا: المعونة 16
رابعًا: الإهانة.....16
خامسا: الاستدراج 16
الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة 17
وقفة جديرة بالذكر حول رأي المعتزلة في خوارق العادات 20
علاقة السحر بالعين والحسد 21

الموضوع **الصفحة**

العين 21
العلاقة بين الساحر، والكاهن، والعراف، والمنجم.....23
وقفة جديرة بالذكر 25
تعليق الرازي على رأي المعتزلة 26
ظهور المعجزات على أيدي الكذابين من المقدورات عند المعتزلة 27
رأي الإمام أبو الحسن الأشعري.....27
الفصل الثاني: موجز عن السحر في الشرائع الأخرى..... 29
تمهيد 29
المبحث الأول: صورة موجزة من طرق السحرة في العالم القديم 31
تمهيد 31
الأمثلة التي توضح السحر فى العالم القديم.....31
السحر عند الفرس 31
السحر عند الهنود.....32
السحر عند الإغريق 33
المبحث الثاني: صورة موجزة من سحر أهل بابل.....34
تمهيد 34
مفهوم صابئة 34
وقفة جدير بالذكر في حقيقة الملكين (في بابل) 37
المبحث الثالث: السحر عند المصريين، ومواجهة موسى عليه السلام 40
تمهيد 40
صورة موجزة لحقيقة السحر عند قدماء المصريين 40
المبحث الرابع: حقيقة السحر عند اليهود والنصارى.....44
تمهيد 44
المبحث الخامس: المسلمون الأوائل، ومواجهة السحرة.....48
تمهيد 48
السحر عند العرب قبل الإسلام.....48

الموضوع **الصفحة**

وقفة واجبة الذكر 49
الحذر من السحر عند ازدهار الإسلام.....49
المبحث السادس: وقفات عن السحر في العصر الحديث 52
بين الشرق الغرب 52
الوقفة الأولى : السحر في بعض من بلاد الغرب.....52
الوقفة الثانية: السحر في البلاد العربية والإسلامية 55
الفصل الثالث: حقيقة السحر في الكتاب والسنة والوقاية الشرعية منه..... 56
مقدمه.....56
المبحث الأول: أنواع وصور تعلم السحر 57
تمهيد 57
السحر في القرآن الكريم، وأدلة الجمهور.....58
أولاً: النوع الأول : السحر الحقيقي 58
ثانياً: النوع الثانى: سحر العين أو التخيل.....61
وقفة جديرة بالذكر في الجن وعلاقته ببدن الإنسان 63
المدى الذى يبلغه السحر الحقيقى.....64
وقفة واجبة الذكر 65
صور تعلم السحر.....65
المبحث الثاني: حقيقة سحر رسول الله ﷺ.....70
تمهيد.....70
حديث سحر الرسول ﷺ.....70
قول جمهور العلماء في حقيقة سحر رسول الله ﷺ 71
شبه من أنكر سحر النبي ﷺ 72
الرد على المعتزلة والمنكرين لهذا الحديث الشريف.....72
رأي الصوفية.....74
المبحث الثالث: الحكم الشرعي على السحر والسحرة.....77
تمهيد 77

الموضوع **الصفحة**

الدليل الشرعي على كفر الساحر وعمله.....77
آراء الفقهاء والعلماء في كفر الساحر.....78
وقفة للتحليل والتعليق 80
الرأي الذي أجاز تعلم السحر من باب الحذر منه 80
آراء الفقهاء في قتل الساحر.....82
آراء الفقهاء في توبة الساحر.....84
الحكم الشرعي لمن أتى عرافا أو كاهناً.....84
الحكم الشرعي لحل السحر بالسحر 86
المبحث الرابع: الرقية، وعلاقتها بالسحر 88
تمهيد 88
الرقية في اللغة 88
الرقية في الاصطلاح 88
أنواع الرقية 89
أهمية الرقية الشرعية في حياة المسلمين.....90
شروط جواز الرقية.....91
مفهوم وحكم النشرة.....92
الخاتمة 94
فهرس المصادر والمراجع 100
فهرس الموضوعات 104

* * * * *